الإنسان

كتاب علمى ، أدبى ، فلسفى ، اجتماعى ، قصصى ، فكاهى

تأليف

حسين الديب

ضابط بمدرسة البوليس والادارة

لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم

« قرآن كريم »

قد قسّم الله فى الدنيا خلائقه * القرد قرد كذا الانسان انسان

« المؤلف »

قرّظه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد احمد دراز من كبار العلماء وكثير من أفاضل الكتاب والأدباء والشعراء

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

كل نسخة لم تكن مختومة بختم المؤلف تعتبر مسروقة

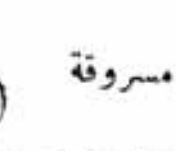

مطبعة النصر بشارع الأمير فاروق بميدان الحسينية بمصر

هذه صورتي لديك تراها ✲ تتجلى بحكمة ووقار
لو نغيّبت عن عيانك بشخصي ✲ لتجلّى بصورتي تذكاري

حسين الديب

obeikandl.com

اهداء الكتاب

إلى أخي في الأنسانية

إلى ذلك المخلوق الذى خلقه الله فى أحسن تقويم . وأخضع له كافة الكائنات فتسلط على كل كائن منها . وذلّل كل صعب بقوة عقله وتفكيره . فصدع الجبال . وغاص البحار . وشيّد قصوراً على الماء تسير بقوة البخار . واستنبط العجائب والغرائب فاخترع المخترعات . وامتطى متن الهواء . وحلّق فى أجواء الفضاء . فابتسمت له الطبيعة عن سرها المكنون . وناجته باسرارها وتهللت له كافة الكائنات

إلى القلوب السليمة . والعقول الناضجة المفكرة .

إلى أصحاب الطموح السامي والعزيمة الجبارة .

إلى الشباب الناهض الذى يجاهد فى سبيل إحياء العلم والأدب .

إلى كل متدين الهم قدرته تعالى وفهم أسرار كتبه المقدّسة .

إلى آدم عليه السلام الذى خلقه الله بقدرته من صلصال ونفخ فيه من روحه فكان إنساناً سوياً وأمر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا الاّ إبليس أبى واستكبر

إلى الانسان الذى جاء من نسل آدم وكان فى عقيدة بعض المتفيهقين بالنشوء والارتقاء قرداً وترقى بمرور الزمن الطويل الى هذه الأنسانية الفائقة التى بلغت حد الكمال .

إليك ياأبا البشر والى جميع اخوانى فى الانسانية من نسلك أهدى هذه الفذلكة

العلمية التي جادت بها قريحتي وخطها يراعي رد أعلى هـذه المفتريات التي يجحدها العقل ولا يقبلها الفكر .

وان القلم ليكلّ عن أن يحصي ماطوّق به حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فؤاد الاول هذه النهضة الفكريّة من روحه وجنانه . أبقاه الله ناصراً للعلم والأدب .

وكلاً بعين رعايته وتوفيقه ولى عهـده حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فاروق ؟

المؤلف

حسين الديب

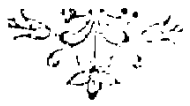

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

حمداً لمن خلق الانسان فى أحسن تقويم . وميزه عن سائر الحيوان بالتفكير والفهم والتفهيم . ووهبه العقل وسخّر له ما فى الأرض والسموات . وهداه بنور العلم الى النظر فى حقائق الموجودات . وصلاة وسلاماً على أفضل الخلق على الاطلاق . وأشرف رسل الملك الخلاق . سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد فقد راعنى لغط بعض الملحدين . الذين يحاولون كثيراً احباط ما جاء بكتب رب العالمين . بما يهرفون به من مباحثهم المبنية على مجرد الظن والوهم . بعد ما تبين لهم مراراً وتكراراً كذب ظنهم وفحش خطأهم . (يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) ولقد جاءت الآيات البينات ناطقة بعجزهم ولكنهم مع ذلك يكابرون . وبترّهاتهم يتمشدقون ولقد حاولوا ايقاف الشيخوخة فلم يفلحوا . وكيف ذلك وقد قال الله تعالى (ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون) وقال تعالى (فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين) فبحثوا عن طريق لمنع الروح من الخروج اذا جاء وقت النزع فلم ينجحوا . ويا ليتهم وقفوا عند هذا الحد بل هم أرادوا الانتصار على الكتب الآلهية بنظريتهم السخيفة وعقليتهم الضعيفة . فقالوا ان الأنسان من أصل قردى وبنوا ذلك على نتيجة تشريحه مادياً وقد ضلوا عن تشريحه

معنويا . وعن معنى قوله تعالى (ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً) وقلت فى ذلك شعراً

لقد حقّر الانسان ظلماً وعدواناً * ومن جنسه ذاق المرائر ألوانا
وقالوا بان القرد أصل لآدم * فضلّوا ولم يبدوا على ذاك برهانا
ابعد كلام الله فى الكتب حجة * على انه من أصله كان انسانا
يقولون بالتشريح حقّق أصله * وهل أظهر التشريح سراً له كانا
على انهم لم يدركوا سرّ خلقه * وما قد وعاه الجسم عقلا وتبيانا
ولم يعلموا ان العوالم جمعت * بهيكله حساً ومعنى واتقانا
فمن شكله فى البحر والبر انما * تميز بالتفكير حكمة مولانا

لذلك وضعت هذا الكتاب مبيناً فيه ان الانسان مخلوق خاص يمتاز عن سائر الحيوان بمميزات كثيرة ذكرت منها ما أمكننى الآن حصره مع قصورى وكثرة عملى معتمداً فى ذلك على الله تعالى فانه نعم المولى ونعم النصير

حسين الديب

الانسان مجموعة الأكوان

ان الله تعالى خلق المخلوقات الحيوانية وجعل للانسان فيها مقاماً خاصاً فميزه عنها بحسن الصورة. وكمال العقل. ونفاذ الرأى. وقوة التفكير. واعتدال المزاج. وحصر فى هيكله الجسمانى جميع الموجودات علويها وسفليها فما تفرق منه تجده مجموعا فيه (١) قال تعالى (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم)

فالانسان أكمل المخلوقات قد خلقه الله تعالى من أول نشأته انساناً ولم يكن فى الأصل قرداً أو حيواناً شبيهاً بالقرد وتطوّر (كما قال ذلك بعض علماء الافرنج وغيرهم) لانه لا يوجد أى حيوان انحصرت فيه جميع المواهب التى انحصرت فى

---

(١) قال علماء النفس خلق الله الانسان وحصر فى هيكله الجسماني جميع الموجودات علويها وسفليها فما تفرق منها تجده مجموعا فيه فكما ان البروج اثنى عشر برجا فى جسم الانسان اثنا عشر ثقبا وكما ان الكواكب سبعة فى الانسان قوى سبعة وحركات الانسان كحركات الكواكب فولادته مثل طلوعها وموته مثل غروبها وكما ان القمر يستمد النور من الشمس وينقص ويزيد . فالعقل كالقمر والروح كالشمس وكما ان فى الموجودات ماء ملحاً وعذباً وحامضاً ومراً فكذلك مثله في الانسان فالملح في عينه والعذب فى فمه والحامض فى منخريه والمر فى أذنيه — وجسد الانسان شبيه بالارض وعظامه كالجبال وعروقه كالجداول وشعره كالنبات ووجهه كالمشرق وظهره كالمغرب ويمينه كالجنوب وشماله كالشمال ونفسه كالريح وكلامه كالرعد وضحكه كالبرق وبكاؤه كالمطر وغضبه كالسحاب ونومه كالموت ويقظته كالحياة وشبابه كالصيف وشيخوخته كالشتاء وكما ان فى البحر حيوانات مضطربة ففى الانسان عضاء مضطربة كاللسان وكما ان فى البر سباعا وشياطين وبهائم ففى الانسان حب الافتراس وطلب القهر والغلبة والغضب والحقد والحسد والفجور والأكل والشرب والنكاح — وكما ان فى العالم ملائكة بررة ففى الانسان طهارة وطاعة واستقامة وكما ان فى العالم من يظهر للابصار ومن يختفي ففى الانسان ظاهر وباطن . عالم الحس وعالم القلب فظاهره ملك وباطنه ملكوت (فتبارك الله أحسن الخالقين) — ثم ان الله تعالى قد زين هذا العالم الاصغر وهو الانسان باقسام الحسن التى هى اللطافة والملاحة والضياء والنور والظلمة والرقة والدقة فجعل اللطافة لروحه والملاحة للسانه والضياء لوجهه والنور لعينيه والظلمة لشعره والرقة لقلبه والدقة لسره - اهـ

الانسان بل جميع مواهبه موزعة على بعض الحيوانات كالببغاء والقرد وغيرهما فاذا كان الانسان قرداً وتطور بالطبيعة فلماذا لم تكرر لنا الطبيعة هذا التطور فى القرد ذاته فينطق بلغة الانسان مع طول مكثه معه . مع ان الببغاء يمكث قليلا مع الانسان فينطق بلغته لا بعقله وتفكيره ـ ولم لم توجد لنا الطبيعة قرداً أملس الجسم كالانسان فاذاً نواة الانسان غير نواة القرد وان تشا كلا لاشتمال نواة الانسان على القوة العاقلة المفكرة . وليست المشاكلة دليلا على الوحدة كما ان الذئب ليس هو الكلب وان تشا كلا

قال الامام العلامة القاضى أبو بكر العربى المالكى ليس لله تعالى خلق أحسن من الانسان . فانه تعالى خلقه حياً عالماً قادراً متكلما سميعاً بصيراً مدبراً حكيما . وهذه صفات الرب جل وعلا وعنها وقع البيان لقوله صلى الله عليه وسلم (ان الله تعالى خلق آدم على صورته) يعنى على صفاته التى قد بينا ذكرها

فالانسان هو المخلوق الوحيد الذى ابتسمت له الدنيا واسفرت له عن جمالها وناداته الطبيعة يا أيها الانسان جدير بك ان تكون رفيع الهمة عالى النفس كبير العقل لتسمو الى قمة المجد وتتربع على عرش الانسانية الحقة . والله يهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو الفعال لما يريد

الأنسان والروح

قالوا بان الروح الحيوية هى الحركة المنبثة فى الاعصاب والعضلات وهى موجودة فى البهائم وبها حياتها . اما الروح الآدمية فهى روح عاقلة نفخها الله تعالى فيه وبها فضله على سائر المخلوقات الحيوانية . قال الله تعالى (فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) فلو ان البهائم أعطيت الروح العاقلة التى اعطيها الانسان لكانت مكلفة

لذلك كانت غريزة الانسان حب استطلاع المجهولات ولا توجد هذه الغريزة فى أى مخلوق ارضى سواه لأن مصدرها الروح العاقلة

وروح كل انسان هى بحسب ما وهبه الله تعالى فمنهم من تكون روحه قدسيّة ولأصحابها التصرف فى الاجرام الارضية والسماوية بالتأييدات الالهية كتصرف ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام فى النار . قال تعالى (قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم) وموسى عليه السلام فى الماء والارض . قال تعالى (واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتى عشرة عينا) وقال تعالى (فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم) وسليمان عليه السلام فى الهواء . قال تعالى (ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها) وداوود عليه السلام فى المعدن . قال تعالى (والنّا له الحديد) ومريم فى النبات . قال تعالى (وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) وعيسى عليه السلام فى الحيوان . قال تعالى حكاية عنه عليه السلام (وابرىء الاكمه والابرص واحيى الموتى باذن الله) ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فى السموات . قال تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) وقال تعالى (أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى)

ومن الناس من لا تسع روحه إلا المعقولات فلا يخرج تصرفها عن دائرة العقل

الانسان والحيوان

قد يخرج الانسان عن حد الانسانية ببعض الصفات الدنيئة التى فى الحيوان فيمسخ مسخاً معنويا ويقال له على سبيل المجاز حمار أو قرد أو خنزير أو سبع أو فهد أو كلب أو نحو ذلك من الحيوان . ويقال له أيضاً ثعبان أو حية أو عقرب

أو نحوها من الحشرات وغيرها من الطيور كالطاووس

فاذا كان الانسان منقاداً لشهواته فى جميع حالاته فهو حمار واذا كان ميالا للهو واللعب فهو قرد واذا كان قذراً بارد الطبع مفقود الغيرة فهو خنزير واذا كان شجاعا متهوراً فهو سبع واذا كان غضوبا قويا فهو فهد واذا كان ذا مكر وخديعة فهو ثعلب واذا كان مستضعفاً جباناً فهو أرنب واذا كان سبابا للناس واقعاً فى أعراضهم اذا لم ينل مما فى أيديهم فهو كلب واذا كان بغيضاً للناس عدواً لهم فهو ثعبان أو حية واذا كان ظالماً فى صورة متظلم فهو عقرب واذا كان معجباً بنفسه فهو طاووس وقس على ذلك مما لم نذكره

ومن الناس من يكون أحط درجة من هذه الحيوانات بالرذائل وارتكابه الدنايا . قال الله تعالى (ان هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا) وقال اعرابى : ـ

كلاب الناس ان فكرت فيهم * أضر عليك من كلب الكلاب
لان الكلب لا يؤذى صديقاً * وان صديق هذا فى عذاب
ويأتى حين يأتى فى ثياب * وقد حزمت على رجل مصاب
فاخزى الله أثوابا عليه * وأخزى الله ما تحت الثياب

وكما قيل فى الامثال أبخر من أسد وأحقد من جمل وأحمق من ذباب ونحو ذلك ولكن كل هذا لا يخرجه عن حقيقة انسانيته لانه قابل للاصلاح الخلقى والخلقى كما تبين فى بعض أبواب هذا الكتاب

لماذا خلق الانسان والحيوان

خلق الانسان لشيئين . وخلق الحيوان لشىء واحد ـ خلق الانسان للعمل والجزاء وخلق الحيوان للعمل فقط ـ عمل الانسان لنفسه أو عليها وعمل الحيوان لاجل الانسان وقد جعل الله تعالى للعمل دار الدنيا وللجزاء دار الآخرة وهى

دار الاقامة . وجعل للعمل فى الدنيا وسائل واسبابا وميسرات هى الاموال والاولاد والحيوان لكن الحيوان أهمها . ولما كان العمل نصيب الانسان من دنياه وزاده فى اخراه حثه الله تعالى على الجد والاجتهاد فيه وأمره ان يبتغى به دار الآخرة ونهاه عن الاعراض عنه . قال تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وقال تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) وخلق الحيوان وذلله وسخره له ليستعين به فى مرافق حياته الدنيوية حتى اذا ما انتقل الى دار الاقامة أصبح لا حاجة له به فانه لا عمل هناك بل جزاء فقط . هو نعيم مقيم أو عذاب أليم . فالحيوان مقيد ومرهون بالعمل لاجل الانسان

من هذا نستفيد ونتبين ان روح الانسان خالدة وان روح الحيوان تفنى بفناء الدنيا فلا يشقى بعد بعذاب ولا يحظى بنعيم . لكن الانسان الذى نيطت به التكاليف الآلهية هو الذى تبقى روحه ليجزى بعمله ان خيراً فخير وان شراً فشر قال تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وقال تعالى (من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) فالنعيم والشقاء الدائمان لا يكونان إلا فى دار الاقامة . فان لزوم المنغصات للملذّات فى الدنيا دليل على وجود لذة لا تنغيص فيها وهى الجنة . وتعاقب الملذات للمنغصات دليل على وجود تنغيص لا لذة فيه وهو النار . والجنة والنار لا توجدان إلا فى الدار الآخرة وهى دار الأقامة ـ قال تعالى (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) وقلت من قصيدة

لا تبع آجلا بعاجل دنيا * عيشها الرغد غاية الخسران

وطن الأنسان

للانسان وطنان تمهيدى وأصلى أو وسيلة ومقصد أو فان وباق . اما الاول فهو البيئة (أو الوسط) الذى ينشأ فيه الانسان فتقله أرضه وتظله سماؤه فى هذه الحياة الدنيا . واما الثانى فهو مكان خلق الانسان الاول (آدم أبو البشر عليه السلام) وهو الجنة (١) والوطن الاول طريق إلى الثانى كما قيل (الدنيا دار ممرّ والآخرة دار مقرّ)

لذلك كان من الواجب على كل انسان ان يحب وطنه الذى نشأ فيه أصله وان يعمل للوصول اليه ببذل الجهد فى العمل النافع لنفسه ولبنى جنسه حتى اذا ما كان عمله متقناً مراداً به وجه الله تعالى أفلح صاحبه ومنح حياة طيبة وبذلك يكون قد ابتغى خير وسيلة للعبور الى الوطن الدائم فيحظى بعيشة راضية فى جنة عالية . فان الدنيا وان قسمت الى أقاليم وأطلق على كل أقليم كلمة وطن اطلاقا عرفيا لكن اذا نشأ انسان فى أى اقليم كان ذلك الاقليم وطناً له فاذا تركه واستوطن آخر كان الأخير وطناً له وبطل الأول وهلم جرا . اذاً ليس للانسان من دنياه وطن خاص ولقد صدق من قال

---

(١) قال الاستاذان الشيخان الخطيب الشربيني والبيضاوى في تفسيريهما عند قوله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة الجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال ان الجنة بستان كان بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم عليه السلام وحمل الاهباط على الانتقال الى أرض الهند كما فى قوله تعالى (اهبطوا مصر) فهذا الزعم باطل اذ لو صح لما كان لطرد ابليس من الجنة وتحريمها عليه أبديا معنى . ومما يدل على انها جنة الثواب وليست بستانا كما يزعمون قوله تعالى لآدم عليه السلام (ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى) قال الشيخ الشربيني أى لا يحصل لك حر شمس الضحى لانتفاء الشمس فى الجنة كما فى قوله تعالى (لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً) وعلى ذلك اجماع المسلمين

اذا كان أصلى من تراب فكلها * بلادى وكل العالمين أقاربى

أما ما يرى من تطاحن الدول ودفاعها عن أقاليمها والاغارة على غيرها فليس ذلك الا بدافع الهوى والميل الى الغلبة والجبروت اللهم الا اذا كان الداعى لذلك هو الانتصار للدين أو الدفاع عن العرض والشرف والمال أو قمع الظالم ليتبدل الخوف أمناً والظلم عدلا وتحل الفضيلة محل الرذيلة فحينئذ يكون التطاحن والاغارة نموذجا حسناً وطريقاً سهلا ليتوصل به الى الوطن الحقيقى الذى قيل فيه (حب الوطن من الايمان) (١)

الأنسان والاهوية والاغذية

(وتأثيرهما فى خلقه وخلقه)

قال الغزالى وابن خالدون وابن سينا وغيرهم ان الله سبحانه وتعالى جعل للأهوية والأغذية تأثيراً فى خلق الانسان وخلقه بحسب مواقع البلاد حرارة واعتدالا وبرودة . فالحرارة المضاعفة فى الأقاليم تسوّد الجلود ويكون فى أهلها الغفلة عن النظر فى عواقب الأمور . والبرد المفرط فى الأقاليم يبيض اللون ويميل أهلها الى التفكير والنظر فى عواقب الأمور . وباعتدال الطقس يعتدل المزاج وخير الأمور أوسطها

وكذا الأغذية اذا كانت معتدلة نشأ عنها خفة فى الاجسام وقبول التعليم وذكاء العقول . واذا كانت كثيرة الاخلاط فانها تولد فى الجسم فضلات رديئة ينشأ عنها قبح الاشكال وتتولد من أبخرتها البلادة والغفلة وانحراف المزاج (٢)

واعلم ان توفّر النعمة وحسن الخلق والخلق لا تكون إلا فى المواطن المعتدلة

---

(١) هذا قول مأثور وليس بحديث

(٢) فى علم الاجرام الذى يدرس بمدرسة البوليس والادارة فى النظرية الفرنسية ان

التى ليس فيها حر لافح ولا برد قارص . قال الله تعالى فى وصف الجنة (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) فنبات هذه المواطن يكون معتدلا صالحاً للجسم يرى فى وجوه أهلها نضرة النعيم . قال تعالى (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا) يرى أهلها أحسن أخلاقاً لأن أخلاق النفس تابعة لمزاج البدن . ولهذا كان أعدل مزاج الآدميين مطلقاً ـ مزاج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . قال تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) وفى صحيح البخارى (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأكمل الناس خلقاً) على انه صلى الله عليه وسلم له شأن خاص فقد أفيضت عليه المواهب الربانية والتجليات القدسية

علم الفراسة

ومن هنا نظر العلماء الأجلاء كالامام الشافعى والامام الرازى رضى الله عنهما وغيرهما فى اختلافات تركيب جسم الانسان وجربوا ما تعوده أصحاب هذه الاختلافات مستأنسين بقوله تعالى (ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) وقوله جل وعلا (قل كل يعمل على شاكلته) ولذلك وضعوا نظريات علم الفراسة فقرروا ان اعتدال مزاج الجسم وتناسب أعضائه يدل على ان صاحبه من ذوى العقول السليمة والاخلاق القويمة بخلاف أصحاب العاهات (إلا ما شذ منها فلا حكم له) وقد حذروا من الأعور والأحدب والأعرج والأحول وكل من كانت به عاهة فى بدنه ونقصان فى خلقته قالوا ان معاملة هؤلاء عسرة شاقة وكذلك الكوسج والأشقر وما أتى خير قط من الأشقر إلا من عمر رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم

ـ للعوامل الاقتصادية أثر أقوى فى الاجرام فانه يترتب على البؤس والعوز عدم الزواج ويسرى البائس عن نفسه بادمانه شرب الخمر وتعاطى الأغذية الضارة فتنشأ فى نفسه أهم عوامل الاجرام .

(لا خير فى أشقر بعد عمر) وجمع ذلك وزاد عليه بعد العلماء فى قوله

توّق رعاك الله تسعا من البشر * فصحبتهم تفضى الى البؤس والضرر
وهم أحول مع أعرج ثم أحدب * وذى كوسج يلو الشياطين فى الكدر
واياك ذا الانف الطويل وأشقر * فانهم بيت الخيانة والخطر
ولا غائر الصدغين خارج جبهة * ولاأزرق العينين فالحذر الحذر

وروى بن عباس رضى الله عنه ان فى بعض الكتب المنزلة على من قبلنا سبع خصال قالها الله تعالى ـ الشؤم فى الاعور والخبث فى الأحمر والنجاجة فى الأحول والسهولة فى الطويل والنطافة فى القصير والكياسة فى الكوسج والتيه فى الأعرج

وفى علم الاجرام الذى يدرس بمدرسة البوليس والادارة فى النظرية الايطالية ان الدكتور سيزار لمبروزو قال فى كتابه المطبوع سنة ١٨٧٦ ان المجرم هو شخص بشذوذ طبيعى من حيث شكل وجهه وعينيه وقامته وجمجمته وهى ان يكون المجرم جامد النظر حاده يبتسم ابتسامة الهازىء قصير القامة صغير حجم الجمجمة قصير الجبهة صغيرها غائر العينين ظاهر عظم الخدود رفيع الشفتين كبير عظم الفكين وأذناه متباعدتان بشكل يشابه شكل أذنى السلة غزير شعر الرأس قليل شعر اللحية

ولكن قد ثبت انه بترويض النفس على الفضائل وتعاطى الأغذية المعتدلة مع الرياضة الجسمانية مما يقوّم الصحة والاخلاق

واليك نصيحة ذكرها صاحب مجمع البحرين تفيد متبعها فى اعتدال مزاجه وقوام صحته وهى : ـ

يا بنىّ لا تجلس على طعام إلا وأنت جائع . وقم وانت بما دون الشبع قانع (١)

---

(١) هذا يوافق قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف نحن قوم لا نأكل حتى

وباكر (١) فى الغداء . ولا تتماس (٢) فى العشاء . والزم الرياضة على الخلاء . واجتنبها عند الامتلاء . ولا تدخل طعاما على طعام . ولا تشرب بعد المتام . ولا تكثر من الألوان على الخوان (٣) . ولا تعجل فى المضغ والازدراد . واجتنب كل ما لم ينضج . وما بات من الطعام فهو مجلبة للفساد . واذا أمكنك الوجبة (٤) فهى أفضل نخبة . وبالغ فى الدواء ما شعرت بالداء . ودعه متى وثقت بالشفاء . واذا اكتفيت بالأغذية . فلا تتجاوزها الى الأدوية . واعتمد الحمية الواقية . مادامت العلة باقية . واحذر دواعى النكس (٥) فانه شر من العلة بالأمس . واعلم ان التجربة خطر (٦) فكن منها على حذر . واعلم ان كل ما عسر قضمه (٧) شق هضمه . وأكثر الأوصاب . يكون من الطعام والشراب . فاحفظ هذه المواعظ . واعمل بها والله الحافظ .

الأنسان والتقليد

قدّمنا ان لكل اقليم بحسب الجو والهواء عادات ومميزات كما ان للبيئة تأثيراً فى الاخلاق لذلك حبّب كل اقليم إلى أهله محبة تدفعهم الى التضحية فى سبيله بالنفس والمال وتجعلهم يدا واحدة تدفع كل من يريد تفريق كلمتهم أو تمزيق وحدتهم

ـ نجوع واذا أكلنا لا نشبع

(١) أى مبكرا كما جاء فى المثل (من أكل بدرى داوى نفسه من حيث لا يدرى)

(٢) يعنى ينبغى ان لا يتأخر فى تناول العشاء الى جوف الليل

(٣) الخوان المائدة (٤) الوجبه الأكل مرة واحدة فى النهار

(٥) النكس الرجوع الى المرض بعد التخلص منه (٦) يعنى تجربة الدواء خطر بل لا بد ان يكون معروفا من قبل (٧) يعنى مضغه

ما داموا محافظين على عاداتهم ومميزاتهم التى جبلوا عليها من حين نشأتهم فاذا انسلخوا عن تلك المحبه وذلك التماسك وطمحوا الى تقليد الأجنبي وهنت عزيمتهم وضعفت شوكتهم وتلاشت قوميتهم

فحق مقدس على كل انسان أن يحافظ على قوميته وألا يقلد أجنبياً إلا فيما يفيد أمته ولا يخالف دينه . ولا يتيسر ذلك الا بالتمسك بآداب الدين وبما كان عليه السلف الصالح . فلنسر على منهجهم القويم . ولنتخلق باخلاقهم الفاضلة ولننظر كيف وصلوا الى أوج الكمال بجدهم وعزة نفوسهم وحبهم لأنفسهم ولغيرهم

وكفانا شاهداً اننا لم نر فى عشاق المدينة المزيفة أحداً وصل الى ما وصل اليه سلفنا الصالح فقد فتحوا البلاد وملكوا العباد وبلغوا فى مدة قصيرة ما لم تبلغه دولة فى العالم

اما المقلد فمثله كمثل الغراب . فقد قيل انه رأى حجلة تدرج وتمشى فأعجبته مشيتها فراض نفسه على تقليدها زمناً فلم يقدر فلما يئس أراد أن يعود الى مشيته الأولى فتخلع فيها وصار أقبح الطير مشية

كذلك حال المقلد يضيع وقته فيما لا يفيد حتى اذا أصابه التأخر عض أصابعه ندماً ولام زمانه فيخاطبه لسان حال الوقت قائلا (١)

لا تقل يا أخا الجهالة لما * ساءك الحال ان وقتى تأخّر
أو لم يطلع النهار بشمس * نورها ظاهر لمن يتبصر
أو لم يأت حندس الليل فينا * وأتى بدره المنير فأبدر
مثلما قد رآه قوم توفوا * ولهم فى الأنام ذكر مكرر
لا تلم وقتك الذى انت فيه * انما انت منه باللوم أجدر

---

(١) الشعر للمؤلف

إذ تحولت عن شمائل جد * جدّ فى فعله ولم يتأخر
ثم قلدت كل شيء ترآءى * من غريب أتى ولم تتخير
فارتجع قبل ان تكون كطير * قلد الغير فانثنى يتحسر
وتفهم ما قلته وأصخ لى * ان قلبى من الفعال تأثر

فان التقليد كما يكون فى الحق يأتى فى الباطل وكما يكون فى النافع يحصل فى الضار فهو مضلة يعذر فيها الحيوان ولا تجمل بالانسان

الانسان والرياضة البدنية

قد تحدث فى جسم الانسان بعض تأثيرات عرضيه تضعف بعض أعضائه ويأتى اليه ذلك من عدم العناية بتربيته فى اثناء نشأته فهذه يمكن علاجها بالرياضه البدنيه واتباع ما قرره الاخصائيون فيها

فقد ثبت بالعلم الحديث امكان تقويم بعض الأعضاء أو علاجها بالتمرينات الرياضيه ويؤيد ذلك قول الشاعر

دواؤك فيك وما تشعر * وداؤك منك وما تبصر
أتحسب انك جرم صغير * وفيك انطوى العالم الأكبر

وقال أفلاطون الحركة المعتدلة أقوى الأسباب فى حفظ الصحه فانها تسخن الأعضاء وتحلل فضلاتها . ووقتها بعد انحدار الغذاء عن المعدة ويقدّر ذلك بخمس ساعات أو بست أو أقل أو أكثر بحسب الأمزجه وبحسب الغذاء ، والحركة المعتدلة هى التى تحمر فيها البشرة وتربو ويبتدىء العرق فعند ذلك ينبغى القطع

ولكل عضو رياضه تخصه . فللصدر القراءة يبدأ فيها من الخفيه الى الجهرية وان يعرض الانسان نفسه على الخلاء قبل النوم . وللنظر الخط الدقيق الحسن (١)

---

(١) قال الزمخشرى فى مدح كاتب (فى خطه حظ لكل مقله كأنه خط ابن مقله) وفلان

والخضرة والماء والمناظر الجميلة ، وللسمع الأصوات الرقيقة الطيبة ، وركوب الخيل باعتدال رياضة البدن كله ،

وليس أدل على فضل الرياضة البدنية من قوله صلى الله عليه وسلم (أحبا للهو الى الله تعالى اجراء الخيل والمرمي)

وإن لعب الاطفال بالحبل والكرة وغيرهما كان سبباً فى حسن اعتدال الجسم لذلك أدخل الفنيون فى الرياضة هذه الألعاب فى تمريناتهم بعد ادخال بعض تحسينات عليها

يتضح مما تقدم ان التمرينات العسكرية على اختلاف أنواعها هى أول مقوّم للجسم ومنشط له فيقضى الجندى أيام حياته متناسب الاعضاء معتدل القوام حتى اذا لحقه الكبر وترك الجندية لا تفارقه مسحة النشاط والشهامة

فالرياضة لهو شريف برىء يبعث فى الجسم والعقل نشاطا ونمواً وقد قلت فيها من قصيدتى سبيل الهدى

روّح النفس لا تترك رياضتها * ان الرياضة تجديد القوى فيها
واعلم بان خمول الجسم يتلفه * ويضعف العقل والآلام يبديها
سلامة العقل فى الجسم السليم كما * قال الأئمة تصريحاً وتنويهاً
ومن تروّض بالألعاب كان بها * ذا صحة وهى للأجسام تحييها
فقوة الجسم للأعداء ترهبهم * فلا يرعك من الاعداء عاديها
فكم سمت أمة من بأسها أمماً * اما الضعيفة محتوم تلاشيها

الأنسان واللباس

قد علمنا ان الانسان هو مناط التكاليف ومحل العناية الالهيـة فان الله جلت

ـ كلما دوّر القلم نوّر المقل وجلى العقول وحلّ العقل

قدرته جعله ذا عقل وفكر ليستعملهما فى جلب المنافع ودفع المضار وسخر له كل شيء فى السماء والارض والبر والبحر وفى بادىء أمره أسكنه الجنة وكساه من حللها وأباح له نعيمها إلا ما استثناه منها . ولما أهبطه الى الارض بسبب الأكل مما نهاه عنه صار عارى الجسد معرضاً لأيذاء الحر والبرد فاستعمل الانسان ما وهبه الله من العقل والفكر ليدفع عن جسده ذلك الأذى ونظر الى ما خلقه الله لأجله من الحيوان والطيور فرآها فى حمى من المؤثرات الجوية بما عليها من صوف ووبر وشعر وريش فاهتدى الى اتخاذ الالباس من هذه الأشياء وقد حصل فكان فى مأمن ووقاية مما قد يصيبه من الأذى لو بقى عارى الجسد مكشوف الرأس ، فكان هذا الاهتداء فضلا من الله تعالى على عباده قال جل وعلا فى معرض الفضل والامتنان (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الانعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون)

من هذا ظهر جلياً ان الانسان هو أول الأشياء وان كل شيء خلقه الله وسخره له حتى صار ينتفع بها كلا أو جزءاً فكم لله من نعم على عباده (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار)

ألا وان الملابس نعمة كبرى ومنة عظمى من الله علينا فمن قبلها وانتفع بها كان انسانا سويا سليما من كل أذى ومن بطر بها وتجرد عنها كمثل من يسير فى زمن الشتاء والصيف عارى الرأس (اسبورت) فقلّ ان يسلم من أمراض متنوعة منشؤها الحر والبرد

ومن الناس من يدفع عن نفسه بعض هذا الضرر بالتمرينات الرياضية وعمليات التدليك وغيرها

ولقد تبيّنت أن نساء المدن اللائى يكشفن صدورهن وأطرافهن كثيراً مايصبن بالحميات والنزلات الشعبية والامراض الصدرية والمعوية وغيرها مما هو ناشىء عن التغييرات الجوية والتعرض للرطوبات (١) وعلى الضد من ذلك نساء القرى اللائى لا يظهر منهن الاّ الوجوه والأكفّ فانه يندر أن تصاب إحداهن بما تصاب به نساء المدن اللائى خرجن عن نعمة الله تعالى

فالانسان مخلوق شأنه عظيم فى السماء والأرض وقد خلق له كلّ شىء كما علمت. فلا ينبغى له أن ينحط الى درجة الحيوان الذى ما خلق الا لأجله فالحيوان والطير خلقا بلباسهما الصوف والوبر والشعر والريش لعدم تفكيرهما وتعقلهما (ان فى ذلك لذكرى لاؤلى الألباب)

الأنسان والجمال

الجمال فى الانسان حسىّ ومعنوىّ . فالجمال الحسى هو اعتدال القدّ ورشاقته . وصفاء الوجه وصباحته . واتساع الألحاظ بلا إجحاظ (٢) مع سواد الجفون . ونصاعة (٣) بياض العيون ، وليس اللون فى كل ذلك شرطا للجمال ، بل الجميل كل منظر يروق لطرفك . ويزيدك حسنا كلما لمحته بنظرك . كما قيل

يزيدك وجهه حسناً * اذا ما زدته نظراً

فالجمال الحسىّ رؤيته تنبه الشعور . وتبعث فى النفس نشاطاً . ينعش الروح . ويفتق الذهن . وينمّى العقل . فينطق اللسان بما يتجلى عليه من المعانى القيّمة .

---

(١) من الاطلاع على النشرة الصحية الخاصة بالحمى المخية الشوكية يظهر أن منشأها كشف الرأس والصدر دواما وتعرضهما للرطوبة حبا فى تقليد الاجانب الذين نشأوا فى بلادهم المرطوبة

(٢) الاجحاظ من جحظت عينه أى عظمت ونتأت

(٣) البياض الشديد الخالص

والكلمات الحكيمة . كما قلت فى ذلك شعراً

متّع الطرف فى وجوه الحسان * واذكر الله مبدع الانسان

انّ فى رؤية الجمال لسراً * فى معانيه واضح البرهان

يفتق الذهن والمعانى منه * تتجلّى برقة وبيان

فارسل الطرف فى الحسان وحاذر * لفتة النفس خيفة الديان

واحفظ القلب ان يحيط به الوج * د فتضحى معذباً كل آن

لا تبع آجلا بعاجل دنيا * عيشها الرغد غاية الخسران

أما الجمال المعنوى فيظهر فى الاخلاق الفاضلة . ولطف المعاشرة . وهو الذى يقوم بين الخليلين والزوجين على أساس المودة والرحمة . فيطمئن كل منهما للآخر فيرى قرينه فى أرقى صورة لا يعاد لها شىء عنده . قال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) لذلك حبب كل من الزوجين أو الخليلين للآخر ما دامت هذه النزعة الوجدانية بينهما .

فالانسان كثيراً ما يجمع بين الجمال الحسى والمعنوى بخلاف الحيوان الذى قلّ أن توجد فيه مسحة من أحد الجمالين ، على أن القردة ليس فيها شىء من الجمال مطلقا . ولله فى خلقه شؤون

الانسان والحب

ينقسم الحب الى روحانى خاص بالانسان . وجسمانى مشترك بينه وبين الحيوان ولكنه فى الحيوان قاصر . وبيان ذلك أن الحب له معان كثيرة منها أنه رحمة وعطف وميل يقتضى كل منها إيصال المنفعة الى الغير . وهذا المعنى قاصر فى الحيوان على تناجه وأليفه . غير أنه مقيد بوقت حضور ولده أو أليفه . فاذا ما غاب عنه أحدهما

حن وتفقد قليلا ولكن سرعان ما يتلاشى هذا الحنين بما يشغله ويتسلى به من مقتضيات نهمته البهيمية. ومهما قوى عنده هذا الحب فانه لا يكون داعيا الى البحث والتنقيب والتفنن والاختراع ولا حاثاً له على الجرى وراء منفعة تعود عليه ولا على بنى جنسه. وماذلك الا لقصور الحب عنده وعدم نموّه فيه

لكن الانسان الذى انطوى فيه العالم الأكبر وسخر الله له ما فى السموات وما فى الارض قد استجمع قسمى الحب الجسمانى والروحانى . فالجسمانى يدعوه لأن يبحث وينقّب ويتفنن ويخترع . ويدعوه لأن يداهن ويخادع ويناضل ويدافع ويحمله على الجد والمثابرة حتى يصل الى امنيته وتتم المنفعة التى تعود عليه وعلى من يميل اليه من أهله وعشيرته وبنى جنسه ، وقد يقوى هذا الحب عنده ويزداد حتى يصير خلقاً مذموما وداء ممقوتا مثل الحرص والطمع والشح والبخل والتهوّر والغضب وربما زهقت روحه وفارق الحياة اذا ما فارق شيئاً مما يحبه ويصبو اليه ، أما الحب الروحانى فهو الحب الشريف الذى يدعو الانسان الى معالى الأمور وينأى به عن السفاسف وهو الذى قال فيه بعضهم

جزى الله عنى الحب خيراً فانه * به ازداد مجدى فى الأنام وعلياتى
وصير لى ذكراً جميلا لانى * أحسّن افعالى لتسمع أسماتى

الحب الروحانى يسمو بصاحبه ويرقى به حتى يجعله شريكا للملائكة فى التحلى بالفضائل . والتخلى عن كافة الرذائل . فيكون فى الدنيا من الاخيار المتقين . وفى الآخرة (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)

الانسان والنوم ومضار السهر .

قضى الله تعالى أن يكون الزمن قسمين مختلفين وهما الليل والنهار . ثم جعل الليل لباساً وجعل النهار معاشاً رحمة منه وفضلا ليجد الانسان وقتاً يستريح فيه

ويسكن وينام . ولتتجدد قوة الجسم الذى تعب بسبب العمل والحركة نهاراً ـ وعلى ذلك نشأ الانسان :

فاذا خالف الانسان هذا النظام الطبيعى وسهر الليل أو معظمه ونام نهاراً واستمر على هذا الحال مدة طويلة اضنى جسمه واختلّت صحته وضعفت قوّته . فلا يستطيع القيام باعباء الحياة الثقيلة ولا يقدر على ما يستلزمه وجوده فى هذا العالم . ويفوته الخير الكثير . ويكتسب الذنب العظيم . وقد ثبت أن ظهور الجسم للضوء من أهم لوازم الحياة . وقد قال جالينوس أن أكثر ضرر السهر يقع على القلب والدماغ والرئة وهذه هى الأعضاء المهمة فلو لحق أحدها ضرر لتداعت جميع قوى الجسم وهلك . وقال أيضاً من الجهل معارضة قوانين الطبيعة

من ذلك يتضح أن السهر مخالف لنظام الجسم الطبيعى وفى مخالفته البلاء والوبال . ومن استقراء أحوال المعمرين فى الناس وجد أن من أسباب هذا التعمير الذى منحهم الله اياه عدم السهر ليلا والمبادرة بالنوم فى أول الليل والاستيقاظ منه فى بكرة النهار ـ ذلك لأن النوم راحة كلية لجميع الجسم كما قال الله تعالى (وجعلنا نومكم سباتاً . (١) وقد قال علماء الصحة ان النوم ضرورى للانسان والمقدار المحتاج اليه منه يختلف باختلاف السن والنوع والمهنة والمزاج ـ فالطفل يحتاج الى نوم أكثر مما يحتاجه الكبير ـ والمرأة تحتاج الى نوم أكثر من الرجل غالباً وذو العمل العقلى يحتاج الى زمن اطول مما يلزم لذى العمل البدنى ـ وليس بخاف أن الارق وهو عدم النوم مرض من الامراض التى يجب التخلص منها وأن يبادر بعلاجها ـ كما أن كثرة النوم مرض يجب أن يتداوى المرء منه وقلت فى ذلك شعراً

اياك والسهر الذى * يودى بجسمك والحواس

---

(١) راحة لكم

واجعل له حداً به * تبنى الجسوم على أساس
واذا سهرت فلا تكن * ما بين ندمان وكاس
فيضيع عقلك فى الضلا * لوتذهب الكاس النعاس
بل كن كما تهوى الفضا * ئل تصطفيك أجل ناس
وذر المصاحب ان بدا * لك عند صحبته التباس
ان الصداقة لا تدو * م وطيها ضعة وناس

الأنسان والرؤيا المنامية

من المزايا البارزة التى فضل الله تعالى بها الأنسان عن الحيوان الرؤيا المنامية التى تتجرد فيها الروح عن البنيان الجسمانى فترى فى لوحة الحياة الكونية ما سطر لجسمها من نعيم مقيم أو عذاب أليم . فيغتبط الانسان بما يراه من خير . ويطلب من الله اللطف فيما يراه من شر

فالرؤيا المنامية سواء أكانت بشير خير أو نذير شر كثيراً ما تقع كما يراها صاحبها أو ترى له . وهذه هى الرؤيا الصالحة التى عبّر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم بانها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة (١) وقال صلى الله عليه وسلم من لم يؤمن بالرؤيا الصالحة لم يؤمن بالله ولا باليوم الآخر وقال عليه الصلاة والسلام لم يبق من النبوة الا المبشرات . قال الرؤيا الصالحة يراها المسلم وترى له

وقد منّ الله تعالى على يوسف عليه السلام بعلم الرؤيا فقال جلّ وعلا (وكذلك

---

(١) فى المصابيح أن مدة ابتداء وحي الرسول صلى الله عليه وسلم الى مفارقته الدنيا كانت ثلاثا وعشرين سنة وكانت ستة أشهر منها فى أول الأمر يوحى اليه منامًا فهى جزء من ستة وأربعين جزءا من أيام الوحي لأنه عاش صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنة على أكثر الروايات وأوحى اليه بعد أربعين سنة اهـ

يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث) يعنى علم الرؤيا ومذكور عنه فى الكتب المقدسة ما رآه وقصه على أبيه وما رآه صاحبا السجن وفسره لهما . وما رآه عزيز مصر مناماً فى عصر يوسف عليه السلام من أن سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات مهازيل وان سبع سنبلات خضر قد التفت عليها أخرى يابسات فاهلكتها — وفسرها يوسف عليه السلام بانهم يزرعون سبع سنين متوالية كعادتهم وتتلوها سبعة أخرى لا ينبت فيها الزرع فيهلكون ما ادخروه فى السبع الأولى وبعد اشتداد الحال عليهم يأتى عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون الكروم . وكان ما وقع مطابقاً لتأويله تلك الرؤيا

والرؤيا على قسمين : الأول الرؤيا الصحيحة وهى من الحس الروحانى . والثانى الرؤيا المعبر عنها باضغاث أحلام . وهى من الحس الجسمانى — وانما سميت أضغاثاً لاختلاطها فشبهت بأضغاث النبات وهى الحزمة مما يأخذه الانسان من الارض فيها الصغير والكبير

— وتنقسم أضغاث الاحلام الى قسمين . الأول يكون من التخمة أو تفاعيل العشق أو الجوع أو النوم فى الشمس أو على غير اعتدال أو غير ذلك — والقسم الثانى من الشيطان وهو الحلم الذى يوجب الغسل ، وما يراه الانسان اذا كان شراً أخفاه ووجب عليه عدم التحدث به لانه ورد فى الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يا رسول الله رأيت كأن رأسى قطع وأنا أتبعه فقال لا تتحدث بتلاعب الشيطان بك فى المنام

الاستخارة

ويمكن للانسان ان يرى رؤية صالحة يسترشد بها عند عزمه على زواج أو سفر أو تجارة أو زراعة أو بناء أو غير ذلك مما يجهل عاقبته بان ينام ظاهراً غير ممتلىء الجسم بالطعام أى بعد انحدار الطعام عن المعدة (بعد الهضم) بعد ان يقرأ

مما يتيسر من القرآن ويسأل الله تعالى بيان موضع الخير أفى الفعل أم فى الترك فيشرح الله صدره لما فيه خيره ثم يرى النتيجة بعد ذلك خيراً أو تصرفه عما ليس فيه خيره فيطمئن ويرضى

عمر الأنسان متمش مع عمر الدنيا

لقد دلّت التواريخ والكتب السماوية على أن عمر الانسان فى غابر الأزمان كان أطول منه الآن وذلك كان فى ابّان نشأة الدنيا ونبات تربتها الطيبة يخرج طاهر من الحشرات ومكروب الاوباء . فيكون غذاء صالحاً لجسم الانسان . فاننا كثيرا مانشاهد أن الاراضى الحديثة الاصلاح فى اول زراعتها يكون نباتها سليما ناضجا ذا حجم اكبر ومحصول اكثر من الاراضى المتكررة الزراعة

وقد خلق الله تعالى الانسان وكرّمه وفضّله على كثير من خلقه وجعله خليفة فى الارض وسخر له مافيها وجعله محل أمره ونهيه . أمره بالطاعة ونهاه عن المعصية وكلفه بالعمل ووعده بالجزاء . فلم يخلقه عبثاً ولم يتركه سدى (فتبارك الله الملك الحق لا اله إلاّ هو رب العرش الكريم)

ولما كان الأنسان منوطاً به القيام بعمل كثير يحتاج الى زمن قد لايتناسب مع العمر القصير اقتضت ارادة الله العليم الحكيم أن يلهم الأنسان ويرشده الى البحث والتنقيب والنظر فى ملكوت السموات والارض وأن يكشف له عن خواص الاشياء . فصار يتفنن ويخترع حتى اهتدى الى استخدام البخار والكهرباء وصنع المركبات السريعة الانتقال من مكان الى مكان واستعمل الاثير الهوائى فى نقل الأخبار من والى سائر الاقطار كذلك تمكن ببعض الغازات من تسيير الطائرات الهوائية وكثير من السيارات الأرضية كل هذا ليحصل التناسب بين الزمان الماضى والحاضر وليتمكن الانسان الآن من أن يعمل فى الزمن القصير ما كان يعمله غيره

فى سالف الأزمان (١)

وحذار ان يتطرّق الى الذهن ان ازدياد العمران وكثرة المستحدثات تدل على بقاء الدنيا وطول أمدها . بل الأمر على عكس ما يظن فان ما يشاهد الآن من زخرف الدنيا وبهجتها وتمكن الانسان من تذليل ما فيها دليل بيّن على قرب فنائها وتلاشيها . فقد قال الله تعالى (حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) وأيضاً يدل على هرم الدنيا وفنائها وتمشيها مع عمر الانسان وقرب الآخرة ما نشاهده من أحوال الناس واشتغال كل منهم بنفسه . فاننا نرى الوالد لا يفكر فى ولده ولا الولد ينظر فى مصلحة أبيه . فكأننا فى القيامة التى قال الله فيها (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) ولا غرابة فى ذلك فان ما قارب الشيء يعطى حكمه نسأل الله التوفيق لما يرضيه فانه نعم المولى ونعم النصير

ولنذكر ما قاله الشيخ الامام صالح بن أبى شريف الاندلسى فى تقسيم العمر الحالى للأنسان وهو :

---

(١) يظن بعضهم أن سنى أعمار الامم القديمة ليست كالسنوات الحالية . ولكن ما نشاهده من طول أعمار أجدادنا عن أعمار آبائنا مما يبطل هذا الظن فقد شاهدت بنفسى فى عائلتى من بلغ من العمر أكثر من مائه وعشرين عاما . وكان رجل في مدينة دمياط يدعى الحاج محمد الجمل قد عاش نحو مائه اثنين وخمسين سنه وكان يذهب الي المسجد فيصلى الصلوات الخمس مع الجماعه الى أن مات رحمه الله تعالى سنة ١٣٤٨ هجريه وذلك الشيخ الصالح كان بدمياط جهة المنشية وكان مواظبا علي الصلوات بمسجد سيدى عمر الموصلي وكان حريصا على صلاة الفجر بالمسجد حتما ، ويوجد بناحية باها بمديرية بنى سويف من يدعى السيد أبو الفرح حسنين فياض يبلغ الآن من العمر مائة وعشرين سنة . وبالناحية المذكورة الحاج على حسن توفى لرحمة مولاه وهو يبلغ من العمر مائة وعشرين سنة هذا العام

ابن عشر من السنين غلام * رفعت عن نظيره الأقلام
وابن عشرين للصبا والتصابى * ليس يثنيه عن هواه ملام
والثلاثون قوة وشباب * وهيام ولوعة وغرام
فاذا زاد بعد ذلك عشرا * فكمال وشدة وتمام
وابن خمسين مرّ عنه صباه * فيراه كأنه أحلام
وابن ستين صيرته الليالى * هدفاً للمنون وهى سهام
وابن سبعين لا تسلنى عنه * فأبن سبعين ما عليه كلام
فاذا زاد بعد ذلك عشرا * بلغ الغاية التى لا ترام
وابن تسعين عاش ما قد كفاه * واعترته وساوس وسقام
فاذا زاد بعد ذلك عشرا * فهو حىّ كميت والسلام

أجل الأنسان

للأنسان أجلين أجل مقضىّ وأجل مسمى . أما الأجل المقضى فهو المرتبط بفعل الانسان مع نفسه أو مع غيره طوعاً أو كرهاً ومرتبط باهماله فى التداوى من علة فاتكة أو تعرض لكارثة مهلكة أو بارتكاب جريمة تبيح دمه

بحصول شىء مما ذكر يحصل الموت فانه منوط بها متوقف عليها . لذلك أمر الله الأنسان بالمحافظة على نفسه وحذره من التعرض للمكاره وعن الالقاء بنفسه الى التهلكة وجعل القصاص من الفرد الجانى سبباً فى حياة المجموع قال تعالى (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة) وقال عز شأنه (ولكم فى القصاص حياة) وقد أخبر الصادق الأمين محمد صلوات الله وسلامه عليه بان صلة الرحم تزيد فى العمر قال صلى الله عليه وسلم (من سرّه ان ينسأ (١) له فى أجله ويبسط له فى رزقه فليتق الله

« ١ » ينسأ أى يؤخر

وليصل رحمه)

وقد دلت التجارب والمشاهدات على ان متعاطى شيء من المخدرات أو المفترات ومعتادى الاجرام كالزناة وقطاع الطريق وغيرهم من الاشرار أعمارهم قصيرة وعلى الضدّ من ذلك نرى كثيراً من الصالحين الأبرار المواظبين على فرائض الدين طوال الاعمار وما ذلك إلا لبعدهم عما يضرّ بصحتهم ويقضى على حياتهم فحفظت أبدانهم واطمأنت قلوبهم وصاروا فى مأمن من الاعتداء عليهم فضلا عن عدم الوقوع فى المخاطر

ألا وإنه لم يحكم بقتل القاتل الا لكونه معتديا على البنيان الربانىّ . هادما للهيكل الجسمانىّ الذى لو ترك لبقى الى أجل سماه الله عنده . قال تعالى (هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون) (١) فالاجل لمقضى يمكن تفاديه . بتوقى أسبابه ودواعيه . أما الأجل المسمى عند الله فلا مناص منه ولا فرار ولا تقديم ولا تأخير وهو الذى قال الله فيه (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وأما الأجل المقضى فقد يعلم بسببه وأرى ان هذا لا يتنافى مع القضاء والقدر بل هو عينه فلو أعمل الفكر لتحقق الأمر . ويدل على الأجل المقضى أيضاً ما جعل عوضاً عن حياة من ماتوا فى سبيل الله تعالى فانهم يحيون حياة طيبة يرزقون فيها عند ربهم وما ذلك إلا لأنهم قد بذلوا نفيساً وضحّوا غالياً هو متاع الحياة الدنيا الذى انقضى بالشجاعة والمجازفة بالنفس حباً فى

« ١ » قال الامام الخطيب الشربيني عند تفسير هذه الآية الكريمة « وقال الحسن. الاول بين وقت الولادة الى وقت الموت والثاني من وقت الموت الى البعث فان كان الرجل براً تقياً وصولا للرحم زيد له من أجل البعث فى أجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من أجل العمر وزيد فى أجل البعث وذلك قوله تعالى « وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب » وهذا يتفق مع قولنا بان التقوى والعمل الصالح يزيدان في العمر

المتاع الأخروى الذى لا يعقبه فناء . ولاتنغيص فيه ولاابتلاء . وهذا خبرصادق ووعد حق ممن يقول للشيء كن فيكون . قال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون)

يتلخص مما ذكر أن للأنسان أجلين أى حدين ونهايتين لحياته الدنيوية . أجل معلق بالأسباب والحوادث وهذا فيه محو واثبات . وأجل مبرم لا يتجاوز بحال من الاحوال (ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها) وأيضا يعلم من ذلك أن الانسان مخلوق خاص فطره الله من أول أمره على النظام ويسر له طريقى الخيروالشر وأقدره على سلوكهما ثم أمره بالأول وبشره بنتيجته . ونهاه عن الثانى وحذره من سوء عاقبته . ثم قال تعالى (من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً) (اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير) (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير)

مميزات الانسان عن الحيوان

قال حجة الاسلام الغزالى والامام احمد بن يحى الحفيد وغيرهما من الحكماء والعلماء أن الانسان يمتاز عن الحيوان بصفات كثيرة منها حالة الولادة . والعقل والنفس الناطقة . والحياء . والكتابة .

(أما حالة الولادة) فان الحيوان يمشى ويدب حين يولد والانسان ليس كذلك لأن الحرارة والبرودة فى جميع أعضاء الحيوان يتكافآن أما الاطفال فتفوق الرطوبة التى فى أدمغتهم على الحرارة بكثير وذلك لأن الدماغ جعل أبرد لأجل أن يصبر على الفكر . وجعل أرطب ليسهل قبوله لما ينطبع فيه من التخيل فى وقت الصبا . فان الرطوبة التى فى الدماغ فيها فضل بسبب السن . فلذلك لا يجد السبيل الى

أن يتحرك لأن ابتداء الحركة من الدماغ فاذا كبر الطفل فان الرطوبة تقل فتقوى الحرارة ويتحرك الدماغ وتتحرك الأعضاء فحينئذ ينهض باذن الله تعالى

(وأما العقل) فهو النور الارشادى الذى أحاط بعوالم الانسان فصار بمعزل عن انفعالات البهم فيهتدى بالتفكير فى مصنوعات الله تعالى الى الرقى اللانهائى فبه يكون انسانا كامل الانسانية (وقال العتبى عن أبيه) العقل عقلان فعقل تفرد الله بصنعه . وعقل يستفيده المرء بأدبه وتجربته . ولا سبيل الى العقل المستفاد الا بصحة العقل المركب . فاذا اجتمعا فى الجسد قوّى كل واحد منهما صاحبه كتقوية النار فى الظلمة نور البصر

وحدّ كمال العقل فى الانسان سن الاربعين فان الله جل وعلا أوحى الى رسله حين بلوغهم هذا السن لأن الانسان اذا بلغ هذا السن ولم يصل الى حد الكمال فلا ينتظر منه اصلاح قال الشاعر :

والشيخ لا يترك أخلاقه * ولو توارى فى دجى رمسه

ومن أبيات لأيمن بن خريم بن فاتك الأسدى :

اذا المرء وفّى الاربعين ولم يكن
له دون ما يأتى حياء ولا ستر
فدعه ولا تنفس عليه الذى ارتأى [1]
وان جرّ اسباب الحياة له الدهر

(وأما النفس الناطقة) فانها من نعم الله التى ميز بها الانسان عن الحيوان فيعبر بها عما فى ضميره ويفهم من غيره ما فى نفسه وأداتها اللسان الذى وصفه الجاحظ بقوله ـ هو أداة يظهر به البيان . وشاهد يعبّر عن الضمير . وحاكم يفصل الخطاب . وناطق يردّ به الجواب . وشافع يدرك به الحاجة . وواصف

---

(١) ارتأى افتعل من الرأى

يعرف به الأشياء . وواعظ ينهى عن القبيح . ومعزّ يرد الاحزان . ومعتذر يدفع الضغينة . وملهٍ يؤنق السماع . وزارع ينبت المودة . وحاصد يستأصل العداوة وشاكر يستوجب المزيد . ومؤنس يذهب الوحشة . (وقال) الاستاذ احمد بن على الدلجى . الانسان انما ينفصل عن الحيوان بالنطق وليس المراد به الصوت المنضغط فى المجرى على مقاطع الحروف والاّ كان الاخرس غير انسان . ولا الكلمات المنتظمة والاّ كان الببغاء والغراب انسانا . وانما المراد به النفس الناطقة . وهى التى لها الفكر والروية ومحبة العلم والمعرفة . وهى التى تملك الطبائع القاسية وغير القاسية وتكون فلسفية وحكمية . وتبحث عن العلوم النظرية . ولها الاستدلال بظواهر الأمور على بواطنها . ومعرفة ترتيب الموجودات فى الوجود . وهذه القوّة كمالها وحياتها بالعلم والبيان وهما مزيتا الانسان

(وأما الحياء) فقد خص الله به الانسان دون الحيوان فانّ كثيراً ما يقع الشر فى الانسان فيمنعه الحياء عن ارتكاب الجرائم خشية العار واحتراما للمبادىء الاجتماعية . فلولا الحياء لم تقل العثرات . ولم تقض الحاجات . ولم يقرّ الضيف . ولم يرغب فى الجميل فيفعل . ولا يتجافى عن القبيح فيترك . حتى أن كثيراً من الأمور الواجبة انما تفعل لسبب الحياء من الناس . فترد الامانات . وتراعى حقوق الوالدين وغيرهما . ويعف عن فعل الفواحش الى غير ذلك من أجل الحياء . فانظر ما أعظم موقع هذه النعمة فى هذه الصفة

(وأما الكتابة) فانها تقيد أخبار الماضين للباقين . وأخبار الباقين للآتين . وبها تخلد فى الكتب العلوم والآداب . ويعلم الناس ذكر ما جرى بينهم فى الحساب والمعاملات . ولولا الكتابة لا انقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض . ودرست العلوم وضاعت الفضائل والآداب وعظم الخلل الداخل على الناس فى أمورهم (فان قلت) أن الكلام والكتابة مكتسبة للانسان وليست بأمر طبيعى ولذلك تختلف

الخطوط بين عربى وهندى وورومي وانجليزى وفرنساوى الى غير ذلك . وأيضا الكلام شيء يصطلح عليه فلذلك اختلف (قلنا) ما به تحصل الكتابة من اليد والأصابع والكف المهيأة للكتابة والذهن والفكر الذى يهتدى به ليس بفعل الانسان ولولا ذلك لم يكن ليكتب أبداً فسبحان المنعم عليه . ولولا اللسان والنطق الطبيعى فيه والذهن المركب فيه لم يكن ليتكلم ابداً فسبحان من أبدع الكائنات على غير سبق مثال (ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين)

الوحشيون

جاء فى كتاب تاريخ الانسان الطبيعى تأليف المستر دوبى الفرنساوى الذى عربه الى اللغة العربية الأستاذ الياس افندى الغضبان فى الباب الخامس عشر فى الاولاد الوحشيين قال بعد أن أورد بعض روايات عنهم . أن هؤلاء الاولاد كثير منهم فى الغابات وقد قبض على بعضهم ولم يكن فى الامكان تعليمهم التكلم لأن السبب فى ارتخاء الحبال الصوتية وفرط ضعفها هو عدم تمرنها وقد لاحظوا أن السنتهم كانت ثخينة جدا وفقدت حالة تنقلها الطبيعى — ثم قال لما كان الدماغ هو السبب فى سمو الانسان على الحيوان فخاصة التكلم هى أيضاً مبدأ من مبادىء قابليته للكمال فالولد الذى يعيش ويشب فى الوحدة بعيداً عن الهيئة الاجتماعية البشرية يفقد هذه الخاصية ويقرب شيئاً فشيئاً من البهم وينتهى الأمر باختلاطه بها وائتلافه معها

ولكنى أخالفه فى ذلك وأقول أن هؤلاء الأولاد ذكورا كانوا أو اناثاً لا يبعد أن يكونوا مخلوقين من الانسان والحيوانات الأخرى كالقردة بدليل عدم تناسلهم كمثل البغال التى هى من نتائج الخيل والحمير ولا تتاج لها اذ لم يثبت فى أى رواية من الروايات التى وردت عنهم أن بعض هؤلاء الأولاد ذكوراً كانوا أو اناثا كان يميل مع الغريزة الشهوانية بل كل ميله كان للمأكل والمشرب والحياة

الوحشية . وقد ذهبت عبثاً كل الا مثولات التى لقونهم اياها والجهد الشديد الذى بذلوه نحوهم ولم يكن فى الامكان تعليمهم التكلم أو استئناسهم

فلو كانوا أصلا للانسان أو من نسله فقط كما يدعون لوصلوا بترويضهم وتعليمهم الى الغاية التى كانوا ينشدونها منهم لأن الانسان مهما تطبع بطباع الحيوان فانه قابل للاصلاح والرجوع الى الانسانية الحقة بمجرد رجوعه الى المجتمع البشرى

ولا يبعد أن يكونوا حيوانات بريه على صورة الانسان تعيش فى الجبال والقفار ولها نظير فى البحار يسمى انسان الماء (لاتبديل لخلق الله ذلك الدّين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

الانسان والتأديب والتهذيب

لابدّ للانسان من التأديب والتهذيب فاذا أهمل أولياؤه تأديبه وتهذيبه أدبته حوادث الايام وهذبته صروف الأعوام كما قال الشاعر :

ولم أر كالأيام للمرء واعظاً * ولا كصروف الدهر للمرء هاديا

الا ان تطوره فى الحالة الأخيرة أبطأ منه فى الحالة الأولى. على ان الحالة الأولى تسهل له الحصول على أوفر نصيب وتؤهله لأن يتذوق حالات الزمن التى تمر عليه حتى يتم أمره وتكمل انسانيته . على أن الله تعالى كان يرسل رسله فى سن الاربعين . ولهذا قيل . من بيضت الحوادث سواد لمته . وأخلقت التجارب لباس جدّته . وأرضعه الدهر من وقائع الايام اخلاف درّته . وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف أقداره وأقضيته . كان جديراً برزانة العقل ورجاحته . فهو فى قومه بمنزلة النبى فى أمته .

وانى لأذكر هنا على سبيل المثال قسطاً من نصائح بعض المجربين بثوها لاولادهم تهذيباً لهم :

(منها ما قيل لتهذيب البنين)

لما حضرت عبد الله بن شداد بن المهاد الوفاة دعا ابنا له يقال له محمد وأوصاه بوصية نقتطف منها ما يلى .

قال له عليك بتقوى الله العظيم وليكن ادنى الامور بك شكر الله وحسن النية فى السر والعلانية فان الشكور يزداد . والتقوى خير زاد . ولا تزهدن فى معروف . فان الدهر ذو صروف . والايام ذات نوائب . على الشاهد والغائب . فكم من راغب قد كان مرغوبا اليه . وطالب اصبح مطلوبا مالديه — وكن جوادا بالمال فى موضع الحق . بخيلا بالاسرار عن جميع الخلق . فان احمد جود المرء الانفاق فى وجه البر . وان احمد بخل الحر الضيق بمكتوم السر — وان غلبت يوما على المال فلا تدع الحيلة على حال . فان الكريم يحتال . والدنى عيال . وكن أحسن ما تكون فى الظاهر حالا . أقل ما تكون فى الباطن مالا . فان الكريم من كرمت طبيعته . وظهرت عند الانفاد نعمته — وان سمعت كلمة من حاسد . فكن كأنك لست بالشاهد . ان امضيتها حيالها . رجع العيب على من قالها . وكان يقال الاريب العاقل .هو الفطن المتغافل — ولا تواخ امرءا حتى تعاشره . وتتفقد موارده . ومصادره . فاذا استطعت العشرة . ورضيت الخبرة . فآخه على اقالة العثرة . والمواساة فى العشرة . واذا احببت فلا تفرط . واذا ابغضت فلا تشطط . فقدورد (احبب حبيبك هونا ما . عسى ان يكون بغيضك يوما ما . وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما) — وعليك بصحبة الاخيار وصدق الحديث واياك وصحبة الاشرار فانها عار : وكن كما قال الشاعر

اصحب الأخيار وارغب فيهم * رب من صاحبته مثل الجرب
ودع الناس فلا تشتمهم * واذا شاتمت فاشتم ذا حسب
ان من شاتم وغداً كالذى * يشترى الصفر باعيان الذهب

واصدق الناس اذا حدثتهم * ودع الناس فمن شاء كذب

(وأوصى) أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ورضى الله عنه ابنه الحسن رضى عنه قال :

يابنى اذا نزل بك كلب الزمان أو قحط الدهر فعليك بذوى الأصول الثابتة والفروع النابتة . من أهل الايثار والشفقة والرحمة . فانهم افضى للحاجات . وأمضى لدفع الملمات . واياك وذوى الأكف اليابسة . والوجوه العابسة الذين ان أعطوا منّوا . وان منعوا ضنّوا . ثم قال

واسأل العرف ان سألت كريما * ذا مروءة يعرف الغنى واليسارا
فسؤال الكريم يورث عزّا * وسؤال اللئيم يورث عارا
واذا لم تجد من الذلّ بدّا * فالق بالذل ان لقيت الكبارا
ليس أجلالك الكبار بعار * انما العار أن تجلّ الصغارا

(وقال أيضا يوصيه) يابنى ابذل لصديقك كل المودة . ولا تطمئنّ اليه كل الطمأنينة . وأعطه كل المواساة . ولا تفش اليه كل الأسرار .

(وقال بعض الحكماء لولده) ليلقك صديقك وعدوّك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم . وتوق عدوك . وتواضع من غير مذلة . وكن فى جميع أمورك فى أواسطها . فكلا طرفى قصد الأمور ذميم . ولا تعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك . فانهم اذا رأوه قليلا هنت عليهم . وان كان كثيراً لم تبلغ قطّ رضاهم . ولا تهازل أمتك ولا عبدك فتسقط وقارك .

(وأصى حكيم ابنه) فقال يابنى لتكن كلمتك طيبة ووجهك طلقا تكن أحب الى الناس ممن يعطيهم العطاء . ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم . ومن يصحب صاحباً صالحاً يغنم

(وأوصى اعرابى ابنه) فقال ـ يابنىّ لا تغرّنك بشاشة امرىء حتى تعلمن

ماوراءها . فان دفائن الناس فى صدورهم وخدائعهم فى وجوههم

(ولما احتضر ذو الاصبع) دعا ابنه أسيداً فقال له يابنى ان أباك قد فنى وهو حىّ . وعاش حتى سئم العيش . وأنى موصيك بما ان حفظته بلغت فى قومك مابلغته فاحفظ عنى — ألن جانبك لقومك يحبوك . وتواضع لهم يرفعوك . وأبسط لهم وجهك يواجوك . ولا تستأثر عليهم بشىء يسوّدوك . وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم . واسمح بمالك واحم حريمك . وأعزز جارك . وأعن من استعان بك . وأكرم ضيفك . وأسرع النهضة فى الصريخ وصن وجهك عن مسئلة أحد شيئاً فبذلك يتم سؤددك

(ومن وصية إعرابية لابنها) قالت يابنى إياك والنميمة فانها تزرع الضغينة وتفرق بين المحبين وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضاً . وخليق أن لايثبت الغرض على كثرة السهام وقلما اعتورت السهام غرضاً إلا كلمته حتى يهى ما اشتد من قوته . وإياك والجود بدينك والبخل بمالك . واذا هززت فاهزز كريماً يلن لهزتك ولا يهزز اللئيم فانه صخرة لاينفجر ماؤها . ومثل لنفسك مثال ماستحسنت من غيرك فأعمل به وما استقبحت من غيرك فاجتنبه فان المرء لايرى عيب نفسه

(وقال حكيم) لابنائه عاشروا الناس معاشرة إن عشتم حنّوا اليكم وإن متم بكوا عليكم وانشد .

قد يمكث الناس دهراً ليس بينهم * ودّ فيزرعه التسليم واللطف

يسلى الشقيقين طول النأى بينهما * وتلتقى شعب شتى فتأتلف

(وقال) على بن نور الدين بن سعيد المغربى لما أودت النهوض من ثغر الاسكندرية الى القاهرة كتب لى والدى وصية أجعلها أمامى فى الغربة أدبّر أعمالى على مقتضاها وهى

أودعك الرحمن فى غربتك * مرتقباً رحماه فى عودتك

وما اختيارى كان طوع النوى * لكننى أجرى على بغيتك

فلا تطل حبل النوى إنى * والله أشتاق الى طلعتك
من كان مفتونا بإنسانه * فانى أمنعت فى حيرتك
فاختصر التوديع أخذاً فما * لى ناظر يقوى على فرقتك
واجعل وصاتى نصب عين ولا * تبرح مدى الأيام من فكرتك
خلاصة العمر التى حنكت * فى ساعة زفت الى فطنتك
فللتجاريب أمور إذا * طالعتها تشحذ من غفلتك
فلا تنم عن وعيها ساعة * فانها عون الى يقظتك
وكل ما كابدته فى النوى * إيّاك أن يكسر من همتك
فليس يدرى أصل ذى غربة * وانما تعرف من شيمتك
وكل مايقضى لعذر فلا * تجعل فى الغربة من ادبتك
ولا تجالس من فشا جهله * واقصد لمن يرغب فى صنعتك
ولا تجادل أبداً حاسداً * فانه أدعى الى هيبتك
وامش الهوينا مظهراً عفة * وابغ رضا الأعين عن هيئتك
وانطق بحيث العىّ مستقبح * واسكت بحيث الخير فى سكتتك
وافش التحيات الى أهلها * ونبه الناس على رتبتك
ولا تزل محققاً طالباً * من دهرك الفرصة فى وثبتك
وكلما أبصرتها أمكنت * ثب واثقاً بالله فى مكنتك
ولج على رزقك من بابه * واقصده ماعشت فى بكرتك
واس من الوّد لدى حاسد * ضدّ ونافسه على خطتك
ووفر الجهد فمن قصده * قصدك لاتعتبه فى بغضتك
ووف كلا حقه ولتكن * تكسر عند الفحر من حدّتك
ولا تكن تحقر ذا رتبة * فانه أنفع فى غربتك

وحيثما خيمت فاقصد إلى * صحبة من ترجوه فى نصرتك
فللرزايا وثبة مالها * الاّ الذى تدخر من عدّتك
ولا تقل أسلم لى وحدتى * فقد تقاسى الذلّ فى وحدتك
والزم الأحوال وزناً ولا * ترجع الى ما قام فى شهوتك
ولتجعل الحق محكا وخذ * كلاّ بما يظهر فى نقدتك
واعتبر الناس بألفاظهم * واصحب أخا يرغب فى صحبتك
بعد اختبار منك يقضى بما * يحسن فى الآخذ من خلطتك
كم من صديق مظهر نصحه * وفكره وقف على عثرتك
إياك أن تقربه انه * عون من الدهر على كربتك
وأنم لنحو النبت قد زانه * غب الندى واسم الى قدرتك
وأن نبا دهر فوطن له * جأشك وانظره الى مدتك
فكل ذى أمر له دولة * فوق ما وافاك فى دولتك
ولا تضيّع زمناً ممكناً * تذكاره يذكى لظى حسرتك
والشر مهما اسطعت لا تأته * فانه حرز على مهجتك

وما قيل لتهذيب البنات

قالت أم أم أياس توصى ابنتها المذكورة حين أريد زفافها ـ أى بنية . ان الوصية لو تركت لفضل أدب . تركت لذلك منك . ولكنها تذكرة للعاقل . أى بنية . فارقت الجو الذى منه خرجت . وخلفت العش الذى فيه درجت . الى وكر لم تعرفيه . وقرين لم تألفيه . فاصبح بملكه عليك رقيباً ومليكا . فكونى له أمة يكن لك عبداً وشيكاً . (١) أى بنية . خذى عنى خصالا تكن

(١) الغرض هنا المطيع

لك ذخراً وذكراً . أصحبيه بالقناعة . وعاشريه بحسن السمع والطاعة . وتعهدى موقع عينيه فلا تقع عينه منك على قبيح . أى بنية . الكحل أحسن الحسن والماء أطيب الطيب . فاستعمليهما . أى بنية . اعرفى وقت طعامه . واهدئى عند منامه . فان حرارة الجوع ملهبه [1] . وتنغيص النوم مبغضه . واحتفظى ببيته وماله . وراعى حشمه وعياله . فأن فى الاحتفاظ بالمال حسن التقدير . ومراعاة العيال والحشم حسن التدبير . ولا تفشى له سراً . ولا تعصى له أمراً . فانك ان أفشيت سره . لم تأمنى غدره . وان عصيت أمره . أوغرت صدره . ثم اتقى مع ذلك الفرح أمامه إن كان ترحاً . والاكتئاب عنده إن كان فرحاً . فان الخصلة الأولى من التقصير . والثانية من التكدير . وكونى أشد الناس له إعظاماً . يكن أشدهم لك إكراماً . وأكثرهم له موافقة . يكن أطولهم لك مرافقة . واعلمى أنك لاتصلين الى ماتحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك . وهواه على هواك . فيما أحببت وكرهت . والله يخير لك .

(وصية)اسماء ابن خارجه الفزارى لبنته هند حين أراد الحجاج البناء بها :

يابنية إن الأمهات . يؤدبن البنات . وإن أمك هلكت وأنت صغيرة فعليك بأطيب الطيب الماء . وأحسن الحسن الكحل . وإياك وكثرة المعاتبة فانها قطيعة للود . وإياك والغيرة . فانها مفتاح الطلاق . وكونى لزوجك أمة يكن لك عبداً . واعلمى أنى القائل لأمك

خذى العفو منى تستديمى مودتى * ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب
ولاتنقرينى نقرة الدف مرة * فانك لاتدرين كيف المغيب
فانى وجدت الحب فى الصدر والأذى * إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

---

(١)من اللهب وهو اشتعال النار اذا خلص من الدخان

ذكاء الأنسان

قدثبت مما تقدم أن الانسان مخلوق خاص ولم يكن من أصل قردى أو حيوان شبيهه به كما يدّعون وإن قوة ذكائه وصحة قياسه وسعة فكره وحسن إستنباطه وشدة تحريه وفراسته لا يمكن أن يتصف بها أى حيوان . ولنذكر طرفا من أحاديث بعض الاذكياء منهم العربى القحّ والصبى الذى لم يبلغ الحلم وغيرهما مما يدل على صحة ما ذكرناه :

(ذكر فى الاذكياء) أنه لما حضرت نزار بن معد الوفاة قسم ماله بين بنيه وهم أربعة مضر وربيعة وأياد وانمار . وقال يا بنى هذه القبة وهى من ادم حمراء وما أشبهها من المال لمضر . وهذا الخباء الاسود وما أشبهه من المال لربيعة . وهذه الخادم وما أشبهها من المال لأياد . وهذه البدرة والمجلس لأنمار ثم قال لهم ان أشكل عليكم الامر فى ذلك واختلفتم فى القسمة فعليكم بالافعى بن الأفعى الجرهمى . فلما مات نزار توجهوا الى الافعى وكان ملك نجران . فبينما هم يسيرون إذ رأى مضر كلأ قد رعى فقال ان البعير الذى رعى هذا أعور . فقال ربيعة وهو أزور . وقال إياد وهو أبتر . وقال انمار وهو شرود . فلم يسيروا الا قليلا حتى لقيهم رجل فسألهم عن البعير فقال مضر أهو أعور . قال نعم قال ربيعه أهو أزور . قال نعم . قال أياد أهو أبتر قال نعم قال أنمار أهو شرود . قال نعم ـ هذه صفة بعيرى دلونى عليه . فحلفوا له أنهم ما رأوه . فلزمهم وقال كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيرى بصفته . ثم سار معهم حتى قدموا نجران ونزلوا بالافعى الجرهمى . فنادى الشيخ صاحب البعير هؤلاء أصابوا بعيرى فانهم وصفوا الىّ صفته . ثم قالوا لم نره أيها الملك فقال الأفعى كيف وصفتموه ولم تروه . فقال مضر رأيته رعى جانبا وترك جانبا فعلمت أنه أعور . وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الاثر فعرفت أنه أفسدها بشدة وطئه لازوراره . وقال أياد رأيت بعره مجتمعا فعلمت أنه أبتر ولو كان ذيالا لمصع به . وقال أنمار رأيته

رعى الملتف تبته ثم جاوزه الى مكان آخر أرقّ منه فعلمت أنه شرود . فقال الأفعى للشيخ ليسوا بأصحاب بعيرك . فاطلبه . ثم سألهم من هم فأخبروه فرحب بهم . ثم قال أتحتاجون الىّ وأنتم كما أرى فدعا لهم بطعام وشراب فأكلوا وشربوا فقال مضر لم أر كاليوم خمراً أجود لولا أنها على مقبرة . وقال ربيعة لم أر كاليوم لحماً أجود لولا أنه ربى بلبن كلبة . وقال أياد لم أر كاليوم رجلا أثرى منه لو لا أنه ليس بابن أبيه الذى يدعى اليه . وقال انمار لم أر كاليوم خبزاً أجود لولا أن التى عجنته حائض . وكان الأفعى قد وكل بهم من يستمع كلامهم . فأعلمه بما سمع منهم فطلب صاحب شرابه وقال له الخمرة التى جئت بها ما قصتها . قال هى من كرمة غرستها على قبر أبيك لم يكن عندنا شراب أطيب من شرابها . وقال للراعى اللحم ما أمره قال من لحم شاة أرضعناها بلبن كلبة ولم يكن فى الغنم أسمن منها . فدخل داره وسأل الأمة التى عجنت العجين فأخبرته أنها حائض . ثم أتى أمه وسألها عن أبيه فأخبرته أنها كانت تحت ملك لا يولد له فكرهت أن يذهب الملك فأمكنت رجلا نزل بهم من نفسها فوطئها فأتت به . فعجب من أمرهم ودسّ عليهم من سألهم عما قالوا . فقال مضر انما علمت أنها من كرمة غرست على قبر لأن الخمر اذا شربت أزالت الهم وهذه بخلاف ذلك لأنا لما شربناها دخل علينا الغم . وقال ربيعه انما علمت أن اللحم لحم شاة رضعت من لبن كلبة لأن لحم الضأن وسائر اللحوم شحمها فرق اللحم الا الكلاب فأنها عكس ذلك فرأيته موافقا له فعلمت أنه لحم شاة رضعت من كلبة فاكتسب اللحم منها هذه الخاصية . وقال أياد انما علمت أن الملك ليس بابن أبيه الذى يدعى اليه لأنه صنع لنا طعاما ولم يأكل معنا فعرفت ذلك من طباعه لأن أباه لم يكن كذلك . وقال انمار انما علمت أن الخبز عجنته حائض لأن الخبز اذا فتّ انتفش فى الطعام وهو بخلاف ذلك فعلمت أنه عجين حائض . فأخبر الرجل الأفعى بذلك فقال ما هؤلاء الا شياطين . ثم أتاهم

فقال لهم قصّوا قصتكم فقصوا عليه ما أوصاهم به أبوهم وما كان من اختلافهم فقال ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر فصارت لهم الدنانير والابل وهى حمر فسميت مضر الحمراء ثم قال وما أشبه الخباء الأسود من دابة ومال فهو لربيعة فصارت له الخيل وهى دهم فسميت ربيعة الفرس . ثم قال وما أشبه الخادم وكانت شمطاء من مال فهو لأياد فصارت له الماشية والبلق من الخيل وغيرها وقضى لانمار بالدراهم والارض فساروا من عنده على ذلك .

(وقدم) بعض التجار الى خراسان فى زمن عضد الدولة ليحج فلما تأهب بقى معه من ماله الف دينار لا يحتاج اليها . فقال ان حملتها خاطرت بها وان أودعتها خفت جحد المودع لديه فمضى الى الصحراء فرأى شجرة خروع فحفر تحتها ودفن المال ولم يره أحد ثم خرج الى الحج وعاد فحفر المكان فلم يجد شيئاً . فجعل يبكى ويلطم فاذا سئل عن حاله قال الأرض سرقت مالى . فلما كثر منه ذلك قيل له لو قصدت عضد الدولة فان له فطنة فقال أو يعلم الغيب فقيل له لا بأس بقصده . فقصده فأخبره بقصته . فجمع عضد الدولة الأطباء وقال لهم « هل داويتم فى هذه السنة أحداً بورق الخروع » فقال أحدهم أنا داويت فلانا وهو من خواصك . فقال على به فجاء فقال له هل تداويت فى هذه السنة بورق الخروع . قال نعم . قال من جاءك به . قال فلان الفراش . قال على به فلما جاء قال من أين أخذت عروق الخروع فقال من مكان كذا . فقال اذهب بهذا معك فأره المكان الذى أخذت منه . فذهب معه بصاحب المال الى تلك الشجرة وقال من هذه الشجرة أخذت . فقال الرجل ههنا والله تركت مالى فرجع الى عضد الدولة فقال للفراش هلم المال فتلكأ . فتوعده . وهدده فأحضر المال .

وهذا التعقب شبيه بما حدث فى ناحية عين شمس فقد وجد قتيل فى احدى المزارع ولم يعثر على شىء يدل على المتهم وصفته سوى علبة سردين مفتوحة

حديثاً بجوار الجثة وقد رأى المحقق أن يسأل من يقال الجهة وهو بالطبع قليل فى هذا المكان ـ عمن اشترى منه سردينا قريبا فأخبره عن رجل زنجى . ولما قبض على ذلك الزنجى وجد عنده سكين ملوث بدماء بشرية وثبت من التحقيق ادانته .

(وفى كتاب أنباء نجباء الابناء) أن الكسائى (مؤدب ولد أمير المؤمنين الرشيد) كان لا يفتح على ولد الرشيد اذا غلطوا فى القراءة عليه وانما كان ينكس طرفه . فاذا غلط احدهم نظر اليه وربما كان يضرب الأرض بخزرانة تكون فى يده فان سدد القارىء للصواب مضى والا نظر فى المصحف . فافتتح المأمون يوما عليه الآية التى فى سورة الصف (ياأيها الذين آمنو لم تقولون مالا تفعلون) نظر اليه الكسائى فنظر المأمون فى المصحف فاذا هو مصيب فمضى فى قراءته ولما انقلب الى الرشيد . قال له ياأمير المؤمنين ان كنت وعدت الكسائى شيئاً فهو يستنجزه . قال إنه كان استوصانى لبعض القراء فوعدته فهذا الذى ذكر لك بى فقال انه لم يذكر لى شيئاً وأخبره بالأمر فتمثل الرشيد بقول الشاعر فى ثابت بن عبد الله ابن الزبير .

ورثت أبا بكر أباك بيانه » وسيرته فى ثابت وشمائله
وأنت امرؤ ترجى لخير وإنما * لكل امرىء ما أورثته أوائله

(وقيل) أن الرشيد ناظر يحيى بن خالد أى ولديه يعهد اليه. وعلم يحيى بن خالد ميله الى أم جعفر وايثاره هواها . فقال أمير المؤمنين أعلم بولده . وقيل أشار عليه بالعهد الى الأمين لطلب مرضاة أم جعفر . وكان الأمين والمأمون حاضران وهما صبيان فاغرى[1] كل واحد منهما بالآخر فأسرع[2] الأمين وحلم المأمون. ثم أمرهما بالمصارعة فوثب الأمين وثبت المأمون جالساً فقال له الرشيد مالك اليوم ياعبد الله اخفت ابن الهاشمية . أما أنه لايد[3] . فقال المأمون هو كما ذكر أمير المؤمنين ولكنى لم

(١) أغرى أي سلط أحدهما على الآخر (٢) أسرع الأمين أى أسمعه قولا مكروهاً
(٣) أيد أي شديد

أخفه ولكن قبض يدى عنه ماقبض لسانى حين نال منى . فقال الرشيد وما الذى قبض يدك ولسانك عنه . قال قول الأموى [١] لبنيه متمثلا :—

انفو الضغائن بينكم وتواصلوا * عند الأباعد والحضور الشهد
فصلاح ذات البين طول بقائكم * ودمار كم بتقاطع وتفرّد
أن القداح إذا جمعن ورامها * بالكسر ذو حنق وبطش أيد
عزت ولم تكسر وأن هى بددت * فالوهن والتكسير للمتبدد
فامثل ريب الدهر ألف بينكم * بتعاطف وتراحم وتودد
حتى تلين جلودكم وقلوبكم * لمسود منكم وغير مسود

فرق الرشيد رقة وأغرورقت عيناه بالدموع ثم تشدد وكفكفها وأقبل على الأمين وقال له يامحمد ماأنت صانع أن صرف الله اليك أمر هذه الأمة قال أكون مهديها ياأمير المؤمنين فقال الرشيد أن تفعل فأنت أهل لذلك . ثم أقبل على المأمون وقال ياعبد الله ما أنت صانع إن صرف الله اليك أمر هذه الأمة ؟

فابتدرت دموع المأمون وفطن الرشيد لما أبكاه فلم يملك عينيه فارسلها وبكى يحيى فلما قضوا من البكاء أربا بكى الأمين لبكائهم فأعاد الرشيد المسألة للمأمون . فقال أعفنى ياأمير المؤمنين من ذلك . فقال عزمت لتقولن فقال أن قدر الله ذلك أجعل الحزن شعاراً . والحزم دثاراً . وسيرة أمير المؤمنين مشعراً لاتستحل حرماته . وكتابا لاتبدل كلماته . فاشار اليهما بالانصراف فذهبا ثم أقبل على يحيى فانشده بيت صخر بن عمرو بن الرشيد السلمى أخى الخنساء وهو قوله

أهم بأمر الحزم لو استطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان [٢]

---

(١) الاموى أى عبد الملك إبن مروان نسبة الى أميه (٢) العير حمار الوحش والنزوان الوثوب وضربه مثلا لتركه الحزم فى العهد الى المأمون مع علمه بفضله على الامين وإنما ذلك لغلبة هوى أم جعفر وزبيدة لقب لها

(وقال) محمد بن عبد الرحمن الهاشمي كانت عنابه أم جعفر بن يحيى تزور أمي وكانت لبيبة من النساء حازمة فصيحة برزة يعجبني أن أجدها عند أمي فاستكثر من حديثها فقلت لها يوما ياأم جعفر أن بعض الناس يفضل جعفراً على الفضل وبعضهم يفضل الفضل على جعفر فأخبريني . فقالت مازلنا نعرف الفضل للفضل فقلت ان أكثر الناس على خلاف هذا . فقالت هاأنا أحدثك واقض أنت وذلك الذي أردت منها . فقالت كانا يوماً يلعبان في داري فدخل أبوهما فدعا بالغذاء واحضرهما فطعما معه ثم آنسهما بحديثه ثم قال لهما أ لمعبان بالشطرنج ؟ فقال جعفر وكان أجرأهما نعم قال فهل لاعبت أخاك بها ؟ قال جعفر لا . قال فالعبا بها بين يدي لأرى لمن الغلب فقال جعفر نعم وكان الفضل أبصر منه بها فجيء بالشطرنج فصفت بينهما وأقبل عليها جعفر وأعرض عنها الفضل فقال له أبوه ما لك لا تلاعب اخاك ؟ فقال لا أحب ذلك فقال جعفر انه يرى أنه أعلم بها فيأنف من ملاعبتي وأنا الاعبه مخاطرة فقال الفضل لا أفعل فقال ابوه لاعبه وانا معك - فقال جعفر رضيت وابى الفضل واستعفى اباه فاعفاه — ثم قالت لي قد حدثتك فاقض . فقلت قد قضيت للفضل بالفضل على اخيه فقالت لو علمت انك لا تحسن القضاء لما حكمتك افلا ترى ان جعفراً قد سقط اربع سقطات تزه الفضل عنهن . فسقط حين اعترف على نفسه بانه يلعب بالشطرنج وكان ابوه صاحب جد . وسقط على الزام ملاعبة اخيه واظهار الشهوة لغلبه والتعرض لغضبه - وسقط في طلب المقامرة واظهار الحرص على مال أخيه . والرابعة قاصمة الظهر حين قال ابوه لاخيه لاعبه وانا معك فقال اخوه لا وقال هو نعم فناصب صفاً فيه ابوه واخوه . فقلت احسنت والله وانك لاقضى من الشعبي ثم قلت لها عزمت عليك اخبريني هل خفي مثل هذا على جعفر وقد فطن له اخوه ؟ فقالت لولا العزمة لما اخبرتك ان اباهما لما خرج قلت للفضل خالية به مامنعك عن ادخال السرور على ابيك بملاعبة اخيك فقال أمران . احدهما لوأني لاعبته لغلبته فاخجلته والثاني قول ابي لاعبه وانا معك

فما يسرني ان يكون أبي معي على أخي . ثم خلوت بجعفر فقلت له يسأل أبوك عن اللعب بالشطرنج وتعترف وابوك صاحب جد . فقال ابى سمعت ابى يقول نعم لهو البال المكدود وقد علم ما تلقاه من كد التعلم والتأدب ولم آمن أن يكون بلغه أني العب بها ولا أن يبادر فينكر فبادرت بالاقرار اشفاقا على نفسي وعليه وقلت أن كان توبيخا فديته من المواجهة به فقلت له يابني فلم تقول ألاعبه مخاطرة كانك تقامر أخاك وتستكثر ماله فقال كلا ولكنه يستحسن الدواة التي وهبها لي أمير المؤمنين فعرضتها عليه فأبى قبولها وطمعت أن يلاعبني فاخاطره عليها وهو يغلبني فتطيب نفسه بأخذها . فقلت لها ياأماه ما كانت هذه الدواة ؟ فقالت ان جعفراً دخل على أمير المؤمنين فرأى بين يديه دواة من العقيق الأحمر المحلاة بالياقوت الأزرق والأصفر فرآه ينظر اليها فوهبها له . فقلت ايه فقالت ثم قلت لجعفر هبك اعتذرت عما سمعت فما عذرك من الرضا بمناصبة أبيك حين قال لاعبه وانا معك ؟ قلت أنت نعم وهولا فقال عرفت انه غالبي ولوفتر لنبه لتغالبت له مع ماله من الشرف والسر وبتحيز أبيه اليه . فقلت بخ بخ هذه والله السيادة . ثم قلت لها ياأماه أكان منهما من بلغ الحلم ؟ فقالت يابني أين يذهب بك أخبرك عن صبيين يلعبان فتقول أكان منهما من بلغ الحلم لقد كنا ننهى الصبي اذا بلغ العشر وحضر من يستحي منه أن يبتسم

(وروى) أن السرّي بن المغلس السقطي وهو صبي قرأ على مؤدبه (ونسوق المجرمين الى جهنم وردا) فقال يااستاذ ماالورد فقال لا أدرى فقرأ (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الله عهداً) فقال يااستاذ ماالعهد قال لاأدرى فقطع السرّي القراءة وقال اذا كنت لاتدرى فلم غررت بالناس فضربه المؤدب فقال السري ياأستاذ ألم يكفك الجهل والغرور حتى اضفت اليهما الظلم والأذى فاستحله المؤدب وتاب الى الله تعالى من التأديب وأقبل على طلب العلم وكان يقول انما اعتقني من

رقّ الجهل السرّى

(وروى ايضاً) ان سعيد بن العاص لما ولد له عمرو وترعرع [١] تفرس فيه النجابة . وكان يفضله على ولده . فجمع بنيه وكانوا يومئذ اكثر من خمسة عشر رجلا ولم يدع عمرواً معهم وقال يابنى قد عرفتم خبرة الوالد بولده وان اخاكم عمرواً لذو همة واعدة [٢] يسمو جده ويبعد صيته وتشتد شكيمته وانى آمركم ان نزل بى من الموت ما لا محيص عنه ان تظاهروه وتوازروه وتعززوه فانكم ان فعلتم ذلك يتألف بكم الكرام ويخسأ عنكم اللئام ويلبسكم عزاً لا تنهجه الأيام . فقالوا جميعاً . انك تؤثره علينا وتحابيه دوننا فقال سأريكم ما ستره البغى عنكم . وصرفهم ثم امهلهم حتى ظن ان قد ذهلوا عما كان وراهق عمرو البلوغ استدعاهم دون عمرو فلما حضروا قال يابنى الم تروا الى اخيكم عمرو فانه لا يزال يلحف فى مسألتى مالى فأحسن عليه لصغره واحسبه بالشىء دون الشىء من مالى الى ان استثبت أن امه باغيته على ذلك فزجرتها فلم تكفف وهذا مخرجه الآن من عندى . جاء يسألنى الصمصامة [٣] كأن لا ولد لى غيره وقد عزمت على ان أقسم مالى فيكم دونه لتعلم امه من يكيد . فقالوا كلهم يا ابانا هذا عملك بايثارك له علينا واختصاصك اياه دوننا . فقال يابنى والله ما آثرته دونكم بشىء من مالى قط ولا كان ما قلته لكم الا اختلاقا تساهلت فيه لما املته من صلاح امركم . ثم قال لهم ادخلوا المخدع فدخلوا المخدع . ثم ارسل الى عمرو فأحضره فلما حضر قال يابنى انى عليك حدب [٤] شفيق لصغر سنك ونفاسة [٥] اخوتك على مكانك منى وانى لآمن بغتة الأجل ولى كنز ادخرته لك دون اخوتك وها انا مطلعك عليه فاكتم امره . فقال يا ابت

---

(١) شب وظهر (٢) همة واعدة هى الفاعلة للوعد يقال شجرة واعدة اذا ظهر لرائها أن قد حان ثمارها

(٣) الصمصامة هي سيف عمرو بن معدى كرب الزبيدى وقد صارت الى سعيد بن العاص

(٤) حدب أى متحنن شفيق (٥) أى نفاستهم

طال عمرك . وعلا أمرك . انى لأرجو أن يحسن الله عنك الدفاع . ويطيل بك الامتاع . فأما ماذكرته من شأن الكنز فما يعجبنى أن أقطع دون أخوتى أمراً . وازرع فى صدورهم غمراً . [1] فقال انصرف يابنى فداك أبوك فوالله مالى من كنز ولكنى أردت أن أبلو رأيك فى اخوتك وبنى أبيك . فانطلق عمرو وخرج أخوته من المخدع فاعتذروا الى أبيهم وأعطوه موثقهم على اتباع مشورته .

قصيدة مدارج السعادة نظم المؤلف

قد رأينا أن نختم كتابنا بهذه القصيدة التى نظمناها عقب تأليفه . لما حوت من الحكم الفريدة . والنصائح المفيدة . وهى :

(الفاتحة)

بعد حمدى لذى العلا والجلال * وصلاتى على سمى الخصال
احمد المرتجى وآل وصحب * من سمو باجتلاء نور الجمال
أبدأ القول مرشداً لطريق * واضح السبل خال الادغال [2]
كل من سار فيه فاز بعز * وترقى بسعيه للكمال
احسن القول ما استنار به الفكـ * ـر وكان الدليل نحو المعالى

(السعادة)

مطمح النفس للسعاده لكن * حسب الناس أنها فى المال
كل حى تراه يسعى بجدّ * انما سعيه الى اضمحلال
يجمع المال وهو ساه ومفض * عن طريق الهدى وحسن المآل
ليس بالمال وحده يترقى * كل ساع من الفضائل خال

---

(١) الغمر الحقد (٢) الدغل الموضع يخاف فيه الاغتيال

انما باتباعه الشرع يرقى * ذروة المجد شاءه البلبال [١]
فهو حصن يصوننا وسياج [٢] * فيه حفظ الاموال والآجال [٣]

(تربية النفس)

صاح شمر ورب نفسك دوما * مشرئبا [٤] الى العلى والكمال
عود القلب رغبة الخير واعمل * دون يأس فى سائر الاحوال
والزم الصبر والقناعة حتى * تتحرى النجاح فى الاعمال

(السعى والاجتهاد)

واسع فيما اردت سعى مجد * فى حدود التقى بلا امهال [٥]
واحفظ النفس من مغالبة الشهـ * ـوة كيما تفوز بالآمال [٦]

(الاقتصاد)

واقتصد ان اردت صفو حياة * ثم لازم طريقه باعتدال
وابتغ القصد [٧] بين كسب وصرف * حسبما قال ربنا المتعالى (٩)
ديدن الشح [١٠] قد يضر به المر * ء ويقضى عليه بالاهمال

(القناعة)

واحفظ النفس بالقناعة فيما * رمت مما تراه صعب المنال

---

(١) البلبال الهم ووسواس الصدر (٢) السياج الحائط وما أحيط به على شيء مثل النخل والكرم (٣) لان الشرع يأمر باجتناب المحرمات والمخدرات والمفترات وفى ترك هذه حفظ المال والصحة (٤) مشرئبا أى متطلعا بنظرك (٥) اليأس القنوط (٦) أى بلا توان (٧) أي بالمطالب (٨) القصد بين الاسراف والتقتير (٩) قال تعالي (ولا تجعل يدك مغلولة الي عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) (١٠) الشح البخل مع حرص

فقنوع الفتى يقلل حب الذا * ت فى نفسه على كل حال
يصحب الناس وهو من كل حقد[١] * طاهر القلب فهو خير مثال
ليس يغشى[٢] مواطن الشر إلا * كل شخص من القناعة خال
يدفع النفس للفنا بانتحار * عند عسر الأمور غير مبال
فهو فى ساحة الحياة تراه * ذا بلاء يسير فى الأوحال

(الرجاء)

وابذل الجهد فى مغالبة اليأ * س وذا بالرجاء[٣] فى الأعمال
فالرجا يبعث النشاط ويحيي * ميت العزم فى نفوس الرجال
فقنوط الفتى يولد فيه * كل شر يجره لوبال[٤]

(الخاتمة)

فاذا ما اتبعت قولى ترق * سلم الفوز ناجح الاعمال
وتعداك[٥] بالتقى كل ضر * وكفاك الآله صرف[٦] الليالى

شعبان المكرم سنة ١٣٥١ هـ
ديسمبر « ١٩٣٢ م

حسين الاريب

---

(١) الحقد الضغن (٢) يغشى أى يأتى ويثاب (٣) الرجاء ضد اليأس (٤) أى للهلاك (٥) أى أخطاك (٦) صرف الليالى حدثانها

تقاريظ

قال حبر العلم . وبحر الحلم . حضرة صاحب الفضل والفضيلة الأستاذ الكامل والعالم العامل . الشيخ محمد احمد درار من كبار علماء الأزهر الشريف . ورئيس مسجد السادة أولاد بدر بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أبدع نظام الكائنات على مقتضى علمه وحكمته . وخلق الانسان فى أحسن تقويم وجعله خليفة فى الأرض واصطفاه من خليقته . وأشهد أن لا آله الا الله العليم الحكيم الذى أخذ من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم أنه رب الأرباب . وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الانسان الكامل الأكمل القائل (إن الناس من آدم وآدم من تراب) (١) اللهم صل على سيدنا محمد كريم الآباء والأمهات . الذى شرفت به البشر وأزالت به ظلمات الباطل والشبهات . وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن أبادوا بمطهرات الحقائق جراثيم الملاحدة . وبتروا بقواطع الحجج السنة بنعم الله جاحدة (وبعد) فقد سرحت الطرف وروضت النفس بالاطلاع على رسالة الانسان لحضره الضابط النابه الأديب (حسين افندى الريب) فألفيتها بهجة للقلوب . وهبة من الله تعالى جاءت على وفاق المطلوب . حقاً انها أنوار أفيضت من الله على قلبه فدبجها يراعه فجاءت بحمد الله تعالى كتابا جليلا يبشر ذوى الألباب وينادى بالخزى على فئة حقت عليهم كلمة العذاب . نعم انه لكتاب كريم يزف الى بنى الانسان بشرى . ويوجه سهام اللوم والتقريع الى قوم جاءوا شيئاً نكراً . يبشر

(١) بعض حديث أوله « ان الله قد أذهب بالاسلام نخوة الجاهلية وتفاخرهم بآبائهم فان الناس من آدم وآدم من تراب »

نى الانسان بانتصار نسبتهم الى أبيهم . ويدحض دعوى الملحدين وبيطلان مذهبهم يناديهم . فهم يترهاتهم يزعمون أنهم من فصيلة القرد قد نشأوا . والكتاب بساطع البراهين يؤيد أن الناس من آدم ابتدأوا . فالحق يقال والحق أحق أن يتبع . . . . أن القائلين بالنشوء والارتقاء قد ضلوا ومردوا على الاباطيل . ولكن مؤلف هذا الكتاب قد اهتدى وهدى الى أقوم سبيل . فهم نشأوا ورقوا فى الاوهام وكاذب النظريات . وهو تتبع الحقائق واستنار بالآيات البينات . . . فلله أنت أيها المؤلف لقد سطعت من مشكات قلبك أنوار أضأت بها الطريق لبنى جنسك . وبرهنت على ان القائل بأن أصل الانسان قرد بأوهى من نسج العنكبوت متمسك . الا وان دفاعك عن أصلك لأقوى دليل على علوّ همتك وطيب عنصرك وقوة إيمانك (فان علوّ الهمة من الايمان) (وان الناس معادن وخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا) [1] فمن علوّ همتك أحرزت قصب السبق فى اصالة الرأى وحسن الادارة وضبط المهمات . ولك على ذلك آيات (مذكرات) [2] ولقد تفوقت فى الأدب وتسنمت منه أعلى ذروة وقمة . حتى كان لك من جدك واجتهادك فيه (بنراس الحكمة) [3] فلا شك أن بنى البشر مدينون لك بالثناء وجزيل الشكر . وسيكون لك من الله تعالى وافر الجزاء وعظيم الأجر . أكثر الله فى الأمة من أمثالك وكلل بالفوز والنجاح جلائل أعمالك . ان ربى قريب مجيب ؟

محمد احمد دراز

من علماء الازهر الشريف

ورئيس مسجد اولاد بدر

---

(١) حديث شريف (٢) و (٣) يشير الى كتابى مذكرات شرطى وبنراس الحكمة للمؤلف

وكتب الكاتب الاجتماعى الفذ حضرة الأستاذ الفاضل (محمود افندى كامل فريد) صاحب المؤلفات الشهيرة

عزيزى حضرة الكاتب الأديب الضابط الادارى الأستاذ حسين افندى الديب

هل تعجب إذا قلت لك (فى غير محاباه كما تعهد من ميوف الى الحق) انك الكاتب الفذ الذى جمع بين فضيلتى السيف والقلم . ولم أر فى حياتى ضابطاً زاد عن هاتين الفضيلتين سواك . لأن الفطرة المخلوقة فيك قد ميزتك بالذكاء النادر . ومكارم الأخلاق . وحسن التدبير . وسداد الرأى . والحكمة البالغة . والنجدة والشهامة وسعة الاطلاع — لقد أطلعت على كتابك الانسان فرأيتك قد أجدت فى الوضع . وأبدعت فى الوصف . وإنه علاوة على أسلوبه الأدبى — ومكانته العلمية . ينبه خامد العقول . ويثير هاجع حميتها . ويوقد بين أضالع القراء فاتر أرواحهم . ويدفع بالجميع الى التفكير فى موضوع الانسان . وكيف خلق . ولأى شىء وجد . وماهى علة وجوده . وماتنطوى عليه سجاياه من عواطف متباينة بين الفضيلة والرذيلة والخير والشر . والحب والبغض . والوفاء والغدر . إلى غير ذلك من العواطف الغريزية . بل هو السفر النفيس الذى يدفع بالناس جميعاً إذا تناولوه بحثاً وتفكيراً الى الطمأنينة فى الحياة وانتهاج سبيل السعادة التى ينشدها كل مخلوق . وبواسطته يفهم كل فرد أنه علة الكون . وحجة الأزل . ولا غرابة إذا صرحت بقولى . وجاهرت أمام الجميع أنك بهذا الكتاب الجليل قد ضربت بآراء الذين كتبوا فى موضوع (النشوء والارتقاء) عرض الحائط . وأفهمتهم بالحجج الدامغة . والبراهين القوية أن الانسان إنسان من بدء إنسانيته . لم يكن قرداً . ولا هو بممسوخ من القردة . لقد دفعتك وطنيتك الصادقة . وغيرتك على الدين . الى تصدى هذا الكتاب بذلك لأسلوب الفلسفى البديع . الفاتن للعقول الساحر للألباب . هو من غير شك نوع

جديد مبتكر . قوى فعال رائع متين . صنف من الكتابة لم ينسج على منواله أحد . هو خير ماتبتغيه النفوس . وتميل اليه القلوب . سدد الله خطاك . وأمدك بروح من عنده . فسر فى سبيل مجدك العالى بخطوات واسعة . وأدحض بأفكارك السامية آراء المفسدين الملاحدة . والسلام ؟

محمود كامل فريد

وقال حضرة الأديب الفاضل محمد افندى ابراهيم سعد خريج مدرسة المعلمين العليا ومدرس بمدرسة علم الدين الثانوية بمصر

الأنسان

وما أدراك ماهو ؟ هو كتاب جليل الشان . واضح البيان . موضوع بميزان يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ـ أودعه صاحبه خلاصة أفكاره وجميل آثاره لايريد مالا ولا جاهاً . ولكنه

يريد من المعالى منتهاها * ولا يرضى بمنزلة دنيه
فاما نيل غاية مايرجّى * وأما أن توسده المنيه

وأن تعجب أيها القارىء . فلأن مؤلفه ضابط من خيرة الضباط ـ تشغله وظيفته عن بحث النظريات . والتعمق فى الأدبيات . ولكنه لرجاحة عقله . ووفرة أدبه . إتخذ من نبوغه سبيلا الى غرضه . ليخرج الناس من الظلمات الى النور . بكتاب جمع فأوعى . من معان رائعة . والفاظ واضحة . وأساليب راجحة . يبحث فى أصل مسماه . ويفند ماتردده الأفواه . من أن الأنسان أصله حيوان . إرتقى على مرّ الأزمان . حتى نطق منه اللسان . فكان كتابه محقاً للحق مبطلا للباطل .

درّ بديع تناهى فى محاسنه * يتيه ناظره من حسنه طرباً
عقوده الأسطر الحسنى التى جمعت * من خير مافيه من يبغى العلا رغباً

ولقد قرأت الكتاب فالفيته واضح المبنى . غزير المعنى . سلوة للقارىء . لاتكاد تقرأ منه فقرة . حتى تستمليك الى تعرّف كل فقرة . وما كدت أنتهى من قراءته . حتى استفزنى الاعجاب به الى تسطير رأيى فيه . ونسبة الخير لزويه . ومعرفة الفضل لمن يبديه ؟

محمد ابراهيم سعد

دبلوم فى التربية ـ ومدرس بعلم الدين الثانوية

وقال المربى الفاضل والأديب الكامل حضرة الشاعر الناثر حسن افندى المدنى ناظر مدرسة فؤاد الأول بمصر

الى حضرة رب السيف والقلم الضابط المحترم الأديب المثقف حسين افندى الديب.

مؤلف كتاب الأنسان

قل للحسين المحترم * ثبت الجنان أخى الهمم
أقسمت أنك أنت رب * السيف حقاً والقلم
بهما تدافع عن كرا * مات المعانى والأمم
واليوم تدفع بالبراع * هراء من قدما ظلم
وتكرم (الأنسان) وفق * الوحى من بارى النسم
وتذود عن شرف ابن آ * دم بالدليل وبالحكم
وفقت فى مسعاك يا * حامي البراعة والعلم

حسن المدنى

وبعث الينا الشاعر العصرى الكبير حضرة الأستاذ **اسماعيل افندى صبرى** (صاحب ديوان مهذب الأغانى) بهذه القصيدة العصماء تقريظا لكتابنا هذا وهى

أدب حوى سحر البيان وفطنة * قادت الى صبح اليقين العسكرا
عش ياحسين فأنت تلعب بالنهى * لعبا تباع به القلوب وتشترى
خلدت للانسان تكريماً له * ذكراً يدوم الدهر حياً عاطراً
أحسنت تهذيب النفوس بحكمة * لجلالها قام الزمان مكبرا
ونظمت بالدرّ اليتيم قلائداً * عصماء أحرزت الثناء الأكبرا
لو أمكن الأقلام أن تسعى على * قدم لجدك عزّ أن تتأخرا
أو كان لى من كل منبت شعرة * قلم يجيد الوصف كنت مقصرا
ربّ الفصاحة والسماحة والوغى * لازال نجم علاك يبدوا زاهرا

اسماعيل صبرى

تصحيح الخطأ الحاصل فى هذا الكتاب

خطأ	صواب	صحيفة	سطر	
لقد	لقد	٥	٥	
اثنى عشر	اثنا عشر	٥	٢	بالهامش
قالوا بأن	قالوا أن	٦	١٧	
اثنتى	اثنتا	٧	٧	
ولخطر	والخطر	١٣	٤	
روى بن عباس	روى ابن عباس	١٣	٦	
من الله علينا	منّ الله علينا بها	١٨	١٧	
ثباتا	سباتا	٢٢	١٤	
طاهر	طاهرا	٢٥	٧	
أجلين	أجلان	٢٧	١٢	
لرحمة مولاه	الى رحمة مولاه	٢٦	٩	بالهامش

obeikandl.com

فهرست الكتاب

الصحيفة	الموضوع
٣	مقدمة الكتاب وفيها دليل عقلى ضمن قطعة شعرية
٥	الانسان مجموعة الأكوان
٦	الانسان والروح
٧	الانسان والحيوان
٨	لماذا خلق الانسان والحيوان
١٠	وطن الانسان
١١	الانسان والأهوية والأغذية وتأثيرها فى خلقه وخلقه
١٢	علم الفراسة
١٣	نصيحة طبية
١٤	الانسان والتقليد
١٦	الانسان والرياضة البدنية
١٧	الانسان واللباس
١٨	الانسان والجمال
٢٠	الانسان والحب
٢١	الانسان والنوم ومضار السهر
٢٢	الانسان والرؤيا المنامية
٢٤	الاستخارة
٢٥	عمر الانسان متمش مع عمر الدنيا
٢٦	تقسيم عمر الانسان الحالى أجل الانسان
٢٧	مميزات الانسان عن الحيوان
٢٩	حالة الولادة
٢٩	العقل
٣٠	النفس الناطقة
٣٠	وصف اللسان للجاحظ
٣٠	الحياء
٣١	الكتابة
٣١	الوحشيون
٣٢	الانسان والتأديب والتهذيب
٣٣	ما قيل لتهذيب البنين
	وصية عبد الله بن شداد
٣٤	« أمير المؤمنين على كرم الله
٣٥	وجهه لابنه الحسن
	وصية بعض الحكماء لولده
	« ذو الاصبع لابنه
٣٦	« اعرابية لابنها
	« حكيم لابنائه

obeikandl.com

تابع الفهرست

الصحيفة	الموضوع
٣٦	وصية نور الدين بن سعيد لابنه علي ليدبر بها أعماله في أثناء سفره
٣٨	ماقيل لتهذيب البنات
	وصية أم أم اياس لابنتها المذكورة عند زفافها
٣٩	وصية أسماء بن خارجة لبنته
٤٠	ذكاء الانسان
	ذكاء ابناء نزار بن معد وصدق فراستهم
٤٢	فطنة عضد الدولة
	« محقق في قضية قتل
٤٣	ذكاء عبد الله المأمون وهو صبي
٤٥	« الفضل وجعفر وهما صبيان
٤٦	« السري السقطي وهو صبي
٤٧	« عمرو بن سعيد بن العاص وهو صبي
٤٨	قصيدة مدارج السعادة نظم المؤلف
٥١	تقاريظ العلماء والكتاب والأدباء والشعراء
٥٧	تصحيح الخطأ الحاصل في هذا الكتاب

(تمت)

obeikandl.com

مطابع النصر

بشارع الأمير فاروق

بالقرب من ميدان الحسينيه بمصر

بعمارة مدكور أمام منزل البنان

وطنطا بالسكة الجديدة

مستعدين لطبع الكتب والمجلات والكارت البارز وكل ما يلزم للتجار والمحامين والدوائر والأطباء والمدارس . شرفوا تروا ما يسركم ؟

صاحبيهما .

محمد ومرسى احمد حسنين